جامعة بجاية عبد الرحمان ميرة

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الآدب العربي

عنوان المذكرة

دراسة نفسية لرواية مولود فرعون "الأرض و الدم" أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الآدب العربي

تخصص : نقد عربي

الأستاذة المشرفة: ***إعداد الطالب:***

حسينة فلاح ***مراد لعجوزي***

السنة الدراسية: 2013-2014

كلمة شكر

قال عليه الصلاة والسلام " كاد المعلم أن يكون رسولا" ومن هذا الحديث الشريف أتقدم بأنقى عبارات الشكر للأستاذة المشرفة "فلاح" التي دعمتني بأسمي معاني العلم و المعرفة و التي لم تبخل علي بالعون .

إلى من كان سندا لي من بعيد أو من قريب إلى كل من ساهم في تطوير وتكوين الطالب الجامعي .

الإهداء

أهدي نتيجة جهدي إلى من زرع في شخصيتي فضائل الأخلاق،إلى مثالي الأعلى في حب العمل والدي العزيز أطال الله في عمره .

إلى التي تجحف في حقها كلماتي مهما زينتها ، إلى أغلى إنسانة إلى قلبي، إلى منبع الحنان ، و روضة الحب , إلى أمي أدامها الله لي وردة تسقيني بعطرها .

إلى من جمعني معهم دفيء العائلة و تقاسمت معهم مر وحلو الحياة ، إلى إخوتي والعائلة الكبيرة .

و إلى أختي الصغيرة نبيلة .

مقدمة

مقدمة:

تعتبر الرواية من الفنون الأدبية الأكثر انفتاحا على حياة الفرد بشتى جوانبها نظرا لعمق معانيها و شاسعة أسلوب كتابتها، و المبدع في الرواية هو الفنان القادر على التعبير عن الشعور العميق بالحياة و يجسدها في صورة فنية مذهلة ، و لا ريب إن قلنا أن الرواية تلبي للقارئ ما يستلذ به خياله و يهذب لسانه فهي تقود إلى ما لا نهاية من التفكير و الدلالات.

و ما يشبع القارئ و يجذبه الى الرواية هي تلك الحرية في التعبير عن المعاناة النفسية و العاطفية فالجانب النفسي مهم جدا في الرواية إذ تتجلي ميزاته في الشخصيات التي يختارها الكاتب و يلبسها تجربته الشعورية و يغرقها في مشاعره المضطربة ليكون لنا في النهاية تحفة فنية كاملة في شخصياتها و أحداثها فينغمس القارئ متذوقا الجمال الذي تجده متخفيا وراء نسيج هذه التحفة و لهذا قمنا باختيار رواية جزائرية انتهجنا عليها المنهج النفسي لأنه يقربنا أكثر من الشخصيات و يساعدنا على معرفة جوهرها .

قسمنا بحثنا هذا إلى فصلين ، فصل نظري و آخر تطبيقي، حيث عرجنا في الفصل الأول للحديث عن مدرسة التحليل النفسي و تطرقنا إلى مؤسسها "فرويد" و أقسامهاوأسسها وأهميتها دون أن ننسي ذكر علاقة الأدب بعلم النفس، حيث استفاد النقد الأدبي من نظريات و طروحات التحليل النفسي للأدب و فيم بعد محور دراسة النفس .

أما الفصل الثاني، فقد قمنا فيه بدراسة رواية الأرض و الدم " لمولود فرعون" اذ تطرقنا فيه الى دراسة الفضاء العام للرواية، حيث لخصنا أحداثها و برزنا شخصياتها التي تمكننا من خلالها الدخول في عمق الرواية ، ومن ثم قمنا بدراسة الشخصية البطلة و التي تتمثل في شخصية "عامر"، حيث اعتمدنا في دراستنا على مسلمات المحلل النفسي "هورني" التي مكنتنا من دراسة بعض الشخصيات من الرواية فصنفنا كل واحدة منها حسب نوعها و ذلك حسب تصنيف مدرسة التحليل النفسي للشخصيات، و على هذا الأساس طرحنا مجموعة من الاشكاليات التي يمكن تلخيصها فيم يلي:

– مفهوم التحليل النفسي عند علماء النفس.

–هل يستجيب النص الأدبي لآليات النقد النفسي ؟

–كيف يصبح النص مرآة لصاحبه من مفهوم التحليل النفسي ؟

وقد صادفتنا خلال إنجاز هذا العمل المتواضع مجموعة من الصعوبات والتي نذكر منها عدم تمكننا من الحصول على المذكرات الجامعية التي طبقت المنهج النفسي، إضافة إلى تعذر إيجاد مراجع حول الدراسات النفسية للأدب.

وتبعا لطبيعة هذا الموضوع اعتمدنا على بعض آليات المنهج النفسي الذي ساعدنا كثيرا على الغوص في معاني العديد من الإبداعات الأدبية والفنية، فبالرغم مما وجه إليه من انتقادات، الا أنه أبان عن حظه الوافر في مسألة الإبداع ، حتى إنه لا يستطيع أي باحث في عصرنا الحاضر أن ينكر دوره الحاسم في الكشف عن أغوار النفس المبدعة،

وإننا إذا وجدنا التحليل النفسي في كثير من الدراسات الأدبية غير محظوظ، فإننا نرى على الأقل أن حسنة هذا المنهج وحسن مجاورته للأدب تكمن بالدرجة الأولى في تلك المصادفة الغريبة التي لا يمكن تعليلها، وهي أن علم النفس عموما والأدب خصوصا يتناولان الموضوعات نفسها، تلك الموضوعات التي تضم الأفكار والخيالات والمشاعر والعواطف وما شابه ذلك.

في الأخير لا يسعنا الا أن نوجه كلمة شكر لكل الذين ساعدوني و وجهوني حتى تم هذا البحث، و أخص بالذكر أساتذة و عمال و طلبة قسم اللغة و الأدب العربي .

الفصل الأول

تحديد المفاهيم

1-فرويد ومدرسة التحليل النفسي

تمكنت أوروبا بعد عصر الأنوار من حمل قصب السباق في تبني العديد من المناهج التي أغنت الحقل المعرفي الإنساني بالعديد من النظريات والأفكار، لقد كان الحافز الأكبر في ذلك، هو محاولة دراسة الإنسان ومحاولة معرفته، الشيء الذي كان له الأثر الأكبر في تعدد العلوم الإنسانية.و بما أن التحليل النفسي يرتبط بالإنسان أشد ارتباط، فإن الضرورة اقتضت أن يكون هو الأقرب في معالجة قضاياه.

كلما ذكرنا التحليل النفسي إلا ونستحضر معه العالم النمساوي "سيجموند فرويد" Freud " (1856 – 1939) الذي ارتبط اسمه به، وقد قام فيما بعد العديد من تلاميذه بتطويره بغية مسايرة الأفكار الجديدة، فأصبحت مدرسة التحليل النفسي فيما بعد مدرسة تقوم في الدرجة الأولى على الدوافع اللاشعورية.

وقبل أن نبدأ بتحديد أفكار هذه المدرسة ورغبة مني في حصر هذا البحث من جذوره الأولى، أود أن أشير إلى أن التحليل النفسي حسب فرويد هو طريقة في المعالجة السريرية للأشخاص المصابين بالأمراض العصابية، وهو أيضا الطريقة التي تبحث في المناطق اللاشعورية التي نرفض نحن الاعتراف بها، أو بعبارة أخرى نكبتها فيعمل التحليل النفسي على اختراقها وفضحها، كما أنه هو الكاشف عن الأسرار التي نخاف الافصاح عنها فيقول "جون بلمان نويل" " John palmant noël" (1885-1963) : " التحليل النفسي أقصد

به المذهب الفرويدي لا العلم، هو فن تفكيك رموز الحقيقة في القطاعات الغامضة للتجربة الإنسانية كما يعيشها الإنسان، أي كما يرويها للآخرين أو لنفسه ...ويستند هذا المذهب إلى نظرية وتطبيق، بدون تقنيات ملزمة وأنظمة شفافة ونماذج طبق الأصل ومفاهيم أحادية المعنى، ونقاط استدلال ثابتة ... كما أن القارئ لن يجد عرضا منهجيا للمفاهيم التي يرتكز عليها التحليل النفسي، ولن يصبح ناقدا في هذا المضمار أو طبيبا معالجا ممارسا، غير أنه إذا تمكن من اكتساب نظرة شمولية في مجرى قراءته للفرضيات والمناهج والنتائج التي يتناولها البحث، فلن نشقى بلا جدوى "[1].

إن التحليل النفسي يعتبر من أهم ما يقوم عليه الفكر الحديث والمعاصر، فنحن لا نجد علما إنسانيا واحدا لم يتأثر بمفاهيمه أو نظرياته، أو لم يستعر مصطلحاته وبعض تركيباته، رغبة في القضاء على النزعات الانسانبة الساذجة .

يعتبر ما قدمه التحليل النفسي من أهم ما حققته الدراسات النقدية، اذ رفع من أشياء بسيطة إلى مرتبة الوقائع ذات الأهمية الحاسمة في حياة الإنسان من وقائع تافهة كانت بمثابة نفايات نفسية، كالهفوات الكلامية والحركية والكتابية التي طالما اعتبرت مجرد سقطات عابرة لا تحمل أي معنى أو دلالة، فعلم النفس يولي اهتماما خاصا إلى هفوات اللسان أو

[1] جان لا بلانش وبوانتاليس ، معجم مصطلحات التحليل النفسي ، الطبعة2 ، تر : مصطفى حجازي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2002 ، ص165

بمعنى أشمل إلى تلك المسائل التي تبدو للإنسان العادي أنها أشياء بدون مغزى لا تدل على شيء ذي معنى، ولتوضيح أكثر فإن فرويد يقصد بهفوات اللسان أو سقطاته، تلك الأخطاء التي تصدر عن النسيان والسهو لا عن الجهل بالموضوع، وهي زلات القلم واللسان وأخطاء الكتابة والأفعال الخاطئة والعارضة، وكل هذه الظواهر التي تنسب عادة إلى الصدفة وعدم الانتباه، هي في رأي التحليل النفسي ظواهر ذات معنى يمكن تبينها إذا ماحددنا باتباع قاعدة التداعي المطلق للظروف والسوابق المسؤولة عن حدوث هذه الأفكار الجديدة التي ميزت التحليل النفسي وجعلته يكتسب طابع الجدية والموضوعية، مما أهله إلى أن يكون علما رائدا في فهم الإنسان، بل في فهم إبداعاته أيضا، حتى و ان كانت العمليات التي يعنى بها ليست مدركة في الغالب، الا أنها في هذه العمليات التي تبحث فيها العلوم الأخرى كالعمليات الكيماوية، والطبيعية. ما جعل بعض مصطلحاته في الغالب تبقى غامضة وعديمة التحديد كالغريزة والطاقة العصبية.

ولكن لا غرابة في ما يمتاز به هذا الاتجاه من نقائص، وهذه العلوم كلها تقوم على مشاهدات وتجارب نصل إليها من خلال جهازنا النفسي، ولكن لما كان موضوع علمنا هو هذا الجهاز بالذات فإن المماثلة تنتهي هنا، فنحن نباشر مشاهداتنا من خلال جهاز الإدراك الحسي ذاته بمساعدة الفجوات في الظواهر النفسية مباشرة، بأن نملأها باستدلالات وجيهة ونترجمها إلى مادة شعورية، وبهذه الطريقة نضيف إلى الظواهر النفسية اللاشعورية سلسلة

من العمليات الشعورية مكملة لها، ويقوم اليقين النسبي في علمنا النفسي على وجاهة هذه الاستدلالات[1] .

استنادا على ما تقدم يمكن القول إن التحليل النفسي في أبسط مظاهره هوالدراسة العلمية لبعض أوجه نشاط الفرد، وما يتضمن من سلوك ظاهر، وتجارب ذاتية شعورية أو لا شعورية، ولا يمكن أن يتخيل امرؤ أن التحليل النفسي موضوعه دراسة اللاشعور، وأن الشعور موضوع علم نفس آخر، فالواقع أن التحليل النفسي وإن قام على معارضة التيارات السيكولوجية السائدة في القرن التاسع عشر، إلا أنه يدخل الشعور في دراسته، بل ويدرسه في علاقته باللاشعور، ويمكن القول عامة بأن موضوع التحليل النفسي ليس هو الشعور واللاشعور، بل هو الإنسان في شمول إنسانيته من حيث هو وحدة بيولوجية و لهذه الأسباب المجتمعة وجب الاهتمام بالتحليل النفسي، و وجب كذلك أن يتزود كل مفكر بأسلحته وبحقله المعرفي، إذ مما لا نستطيع رده أن المرء قد يسأل في بعض المجالات أسئلة قد لا يجيبه عنها إلا التحليل النفسي[2].

لقد أكد "فرويد" منذ أولى أعماله في تحليل روائع الأدب اليوناني أن الإنسان محكوم عليه بقوى لا شعورية تسيره وتحدد له مساره في الحياة، وبهذا أنزل ضربة قاضية على مدرسة الشعور التي كانت لا تعطي أهمية إلا لهذا الجزء من النفس، هذا الجزء من العقل الظاهر

[1] أحمد محمد عبد الخالق، أسس علم النفس، الطبعة الثالثة، الإسكندرية، 2000 ، ص 54 - 66 ؛ بتصرف
[2] المرجع نفسه ، ص55

في نظر "فرويد"، لا يمثل إلا جزء صغيرا من شخصية الإنسان، وقد شبه فرويد " الحياة النفسية بجبل من الجليد يمثل اللاشعور الجزء الأكبر الموجود في الأعماق، ولهذا تسمى مدرسة التحليل النفسي أحيانا سيكولوجية الأعماق، وفي هذه المنطقة من اللاشعور توجد الدوافع الأولية والرغبات والمشاعر المكبوتة،وهكذا انتهى فرويد إلى القول بأن الاقتصار على الشعور غير كاف لفهم الدوافع الكامنة لسلوك الإنسان"[1]

هكذا نصل إلى عمدة وقطب اكتشافات مدرسة التحليل النفسي، إنه اللاشعور، فهو الدعامة الأساسية التي قامت عليها هذه المدرسة، إذ هي دائما تفترض أنه عبارة عن منطقة شاسعة من الحياة النفسية، تشمل على الرغبات المكظومة والذكريات والمشاعر التي قد ترجع إلى السنوات الأولى من حياة الفرد، كذلك فإن اللاشعور هو " ذلك الجزء من النفس الذي يصل إلى درجة الإبهام والغموض، بحيث لا نعرف عنه إلا مظاهره، والذي يعتبر مصدرا للنشاط العقلي الذي يستمر حدوثه بدون معرفتنا"، ولهذا الجزء اللاشعوري من النفسية الحظ الأوفر من شخصية الإنسان إذ يشبه بثمانية اتساع قطعة الثلج المنغمس في الماء، والذي لا يستطيع أحد أن يراه في حين أن الشعور يمثل التسع الظاهر من قطعة الثلج وهو الجزء الطافي على الماء الظاهر [2].

[1] عبد الرحمن الوافي ، مدخل إلى علم النفس ، ط5 ، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ،2011 م ، ص133

[2] حسين عبد الفتاح الغامدي ، المدارس النفسية و نضريات الشخصية ، ط 2 ، دار الوفاء ، الاسكندرية ، 2003 ص22

إن هذا الاهتمام الذي قدمته مدرسة التحليل النفسي لهذا الموقع الحساس من النفس، لم يكن عبثا بل كان من أجل أنه يحوي الدوافع الغريزية البدائية الجنسية والعدوانية، التي غالبا ما تكبت في مجتمعاتنا المتحضرة تحت تأثير المعايير الخلقية والدينية والاجتماعية التي ينشأ فيها الفرد.

هذه الدوافع والرغبات المكبوتة لا تتخذ طريقة سليمة دائما من أجل الإشباع، وبالتالي فهي تحيد عن المسار لتظهر في أغراض أخرى، وقد قام فرويد بتعديل في هذا الجزء اللاشعوري، وأطلق على هذا المستودع من الرغبات اسم الهو، الذي يشمل كل ما هو موروث وما هو موجود، ولا يعترف بالمنطق أو الأخلاق أو الواقع ، واللاشعور هو الكيفية الوحيدة التي تسود فيه، بيد أنه من اللازم أيضا أن نذكر بالصراع الدائم الذي يخوضه هذا الجزء من النفس مع الأنا والأنا الأعلى، إذ يفرض الهو نزواته اللاواعية وذكرياته التي ترسبت فيه على مدى السنين على الأنا الذي يقاوم دائما ويحاول المحافظة على التوازن، هذا التوازن الذي يفقده أثناء الاستسلام للأحلام، بينما يشكل الأنا الأعلى تلك المنظمة العليا التي تسهر على تقنين كل هفوة من نفس الإنسان، ويبدأ بالتشكل منذ إدراك الإنسان لما حوله ، إذ يستسلم لتأثير الوالدين والدين والتقاليد، ويعرفه فرويد بأنه " ذلك الأثر الذي يبقى في النفس من فترة الطفولة الطويلة التي يعيش فيها الطفل معتمدا على والديه، وخاضعا لأوامرهما ونواهيهما ...ويمثل الأنا الأعلى ما هو سام في الطبيعة الإنسانية، فهو الذي يمثل

علاقتنا بوالدينا، وقد عرفنا هذه الكائنات السامية حينما كنا أطفالا صغارا وقد أعجبنا بها وخشيناها، ثم بعد ذلك مثلناها في أنفسنا "[1].ومن البين إذن أن الهو والأنا الأعلى على الرغم من اختلافهما الكبير، يتفقان في أنهما يمثلان الماضي في الشخصية، فالهو يمثل آثار الوراثة ويمثل الأنا الأعلى ما أخذه عن الآخرين ومن السهل القول إنه يحوي الأصل الذي منه نشأت جميع الأديان.

لم يبق إذن من ذلك التقسيم الفرويدي الثلاثي للنفس إلا الأنا، هذا الجزء الوسيط الذي يلامس الواقع، وتتحدد مهمته في الإشراف ، على الحركة الإرادية، ويقوم بمهمة حفظ الذات وهو يقبض على زمام الرغبات الغريزية التي تنبعث عن الهو، فيسمح بإشباع ما يشاء منها ويكبت ما يرى ضرورة كبته، مراعيا في ذلك مبدأ الواقع، ويمثل الأنا الحكمة وسلامة العقل وبهذا التنظيم للجهاز النفسي تصبح مهمة الأنا مهمة شاقة دقيقة فعليه أن يقوم بمراعاة هذه السلطات الثلاث، وهي العالم الخارجي والهو والأنا الأعلى، وهو يحاول دائما أن يوفق بينها بعد الهفوات والسقطات الشفوية أو الكتابية، قدمت هذه النظرة الموجزة حول الأنا والأنا الأعلى والهو، وذلك رغبة مني في الكشف عن أهم مفاهيم التحليل ا لنفسي وليس كلها، ويمكن أن أستخلص مما تقدم، أن مفهوم الكبت هو النقطة التي يقوم عليها كل بناء تحليلي نفسي، وأنا لا أركز الكبت هنا على الغريزة الجنسية فقط، لأن ذلك سيكون فهما خاطئا لما قدمه التحليل النفسي، وسيكون في نفس الوقت تجريدا للإنسانية من كل مظاهرها الإنسانية،

[1]رضوان ظاظا، منصف الشنوفي، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ط2 ،الكويت، 1978م، ص34.

بل إنني أقصد به كل ما يكظمه الإنسان في مرحلة معينة، ولم يتح له التعبير عنه إلا في فترة لاحقة بطريقة مغايرة، وبذلك يدخل في هذا الإطار ما يسمى بالكبت السياسي والاجتماعي والفكري[1].

مما يخلق لدى الإنسان رغبة عميقة تحاول الذات من خلالها إبعاد التمثلات المرتبطة بالدوافع، وأستطيع مع هذا، القول بأن اللاشعور بهذا المفهوم لا يمكن إدراكه والإمساك به إلا عبر الكبت، لأن اللاشعور يكون دائما مضطرا إلى الالتجاء لنفس الطريقة في إنتاج غرض من الأغراض، وليكن حلما أو سقطة لسان أو نسيان.

ومن بين المفاهيم التي رسخها التحليل النفسي في الثقافة الإنسانية، مفهوم الذي يخلطه البعض مع الكبت الذي يرتبط به التسامي أيما ارتباط، ولكن في هذا الموقع وجب التمييز بينهما " ففي الكبت يستبعد الأنا الدافع الغرزي عن الشعور استبعادا تاما مستعينا بحيلة أو أكثر من حيل الدفاع، بينما في التسامي يتقبل الأنا الدافع الغريزي، ولكنه يحول طاقته من موضوعه الأصلي إلى موضوع بديل ذي قيمة ثقافية واجتماعية" [2] ؛ و من هنا يتضح أن من نتائج الكبت والصراع في النفس بين المقبول والمرفوض،انحلال هذا الكبت إلى صورة مقبولة شخصيا واجتماعيا، حتى يغدو الشخص المتسامي في بعض الأحيان، صاحب عبقرية وامتياز في الفن أو في العلم.

[1] حسين عبد الفتاح الغامدي ، المدارس النفسية و نضريات الشخصية ، ص18-23 ، بتصرف

[2] رضوان ظاظا، منصف الشنوفي ، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ، ص: 58.

ومن هذه الواجهة تأتي مقارنة الحياة النفسية لكل فنان بوجه المحيط، إذ يبدو فيه الماء ساكنا على السطح، بينما في الأعماق فهو مائج مضطرب بتوترات انفعالية، تشيع فيه عقد شتى كما تشيع ألوان من الكتب، بهذه الأفكار نستطيع أن نجزم بأن التسامي بالغرائز بجميع أنواعها، قد يحقق في غالب الأحيان نتائج هامة، يظهر فيها تميز الإنسان وقدرته على الارتفاع والسمو عن مستوى الحياة الغريزية الفجة، وتعويضها بقدرته العقلية إثر استنطاق الذات بنشاط ما يحلم به أبدا[1].

لقد تبين مما تقدم أن التحليل النفسي قد ساهم في كشف متاهات النفس الإنسانية كما ساهم في الكشف أيضا عن معماريتها الأنا، الأنا الأعلى، الهو التي ظلت إلى اليوم مصباحا ينير طريق العديد من الأبحاث النفسية أو غيرها. ومع ذلك حاول البعض تفنيد هذه الآراء والتشكيك في مزاعم التحليل النفسي،فلم تكن النتيجة انقراضه، بل استقباله للعديد من الإضافات وتغيير مفاهيم اللغة وأساليبها مع الحفاظ على " الأرضية الفرويدية اللاوعي قائمة كمركز الاهتمام، وفكرة اللاوعي تقوم على مقولة إن المرء يبني واقعه في علاقة أساسية مع رغبات هذ المكبوتة ومخاوفه، ولهذا فإن كل تعبير هو مجموعة علاقات معقدة تتوسط وتتدخل في كل ما يعتقد المرء أنه يفعله أو يقوله أو يحلم به"[2]،هذا أتاح له القدرة

[1] حسين عبد الفتاح الغامدي ، المدارس النفسية و نضريات الشخصية ، ص18
[2] عبد الرحمن الوافي، مدخل إلى علم النفس ، ط5 ، ص 135

على ملامسة التراث الأدبي ومسألته وقد كانت البدايات الأولى لهذه الملامسة والتجاور بين الأدب والتحليل النفسي مع أعمال رائده الأول سيجموند فرويد.

اعتمد "فرويد" بشكل كبير في فهمه للعقل البشري على الأساليب التفسيرية واستكشاف المشاعر والأفكار الخفية الاستبطان والملاحظات الإكلينكية. وقد ركز منذ فترة التسعينيات بالقرن بشكل خاص على حل الصراع الذي يحدث في العقل الباطن والتخلص من حالة التوتر العقلي، كما ركز على علم النفس المريضة وقد ذاع صيت نظريات "فرويد" في علم النفس، ويرجع السبب الأساسي في ذلك إلى تناولها لموضوعات، مثل الجنس والكبت والعقل الباطن على أنها من الجوانب العامة للتطور النفسي. كانت تعتبر تلك الموضوعات من المحظورات التي لا يمكن الاقتراب منها أو التحدث عنها، ولكن "فرويد" نجح في تناولها وشرحها بطريقة لائقة ومهذبة. لقد عُرف "فرويد" بتقسيمه للعقل البشري إلى ثلاثة أجزاء تأتي على هذا الترتيب ألهوا والأنا والأنا الأعلى ونظرياته عن عقدة أوديب .ولكن إسهاماته التي ستظل باقية أبد الدهر في هذا العلم لا تتمثل فيما اشتملت عليه النظريات التي قام بإرسائها فيه ولا على تقسيمه للعقل البشري على النحو السابق الإشارة إليه، بل بالابتكارات التي جاء بها في المجال الإكلينيكي لعلم النفس، مثل أسلوب التداعي الحر واهتمامه بتفسير الأحلام على أسس تحليلية. لقد كان لفكر وآراء "فرويد" بالغ الأثر على الطبيب النفسي السويسري الاصل "كارل جانج " و الذي أصبح علم النفس التحليلي الذي أبتكره هذا الطبيب بديلاً لعلم

نفس الأعماق . ومن بين المفكرين الذين ذاع صيتهم في مجال التحليل النفسي في منتصف القرن العشرين "آنا فرويد " "Anna Freud" (1913) ابنة "سيجموند فرويد " و"إيريك إيريكسون "Eric Ericsson" (1902–1994) عالم النفس الألماني و"ميلاني كلين" "Milani" clean " (1882–1960)[1].

يشتمل مجال التحليل النفسي الحديث على عدد من المدارس الفكرية المختلفة والتي تشتمل بدورها على علم نفس الأنا والعلاقات الموضوعية والعلاقات الشخصية المتبادلة وأسلوب التحليل النفسي للعالم "جاك لاكان" "jacques Lacan" (1901–1981) والتحليل النفسي المرتبط بالعلاقات . وقد أدى تعديل نظريات "جانج" إلى ظهور النموذج البدائي والمدارس المنهجية للفكر النفسي. حاول الفيلسوف النمساوي – البريطاني "كارل بوبر" Karl "Popper" (1902–1994) إثبات أن نظريات "فرويد" في مجال التحليل النفسي تم تقديمها بطريقة غير معتمدة على التجربة والاختبار . تعتمد أقسام علم النفس في الجامعات الأمريكية اليوم على التوجه العلمي وتم تهميش فكر "فرويد" ونظريته والنظر إليها على أنها ابتكار تاريخي عفا عليه الزمن، وذلك استنادًا إلى الدراسة التي أجرتها مؤخرًا الجمعية الأمريكية للطب النفسي .ومع ذلك، قام مؤخرًا عالم الأعصاب الجنوب أفريقي "مارك سولمز" وغيره من الباحثين في المجال الطبي الجديد والمعاصر الذي يحمل اسم التحليل النفسي العصبي بالدفاع عن بعض الأفكار التي جاء بها "فرويد" مستندين على أسس علمية ثابته،

[1] حسين عبد الفتاح الغامدي ، المدارس النفسية و نضريات الشخصية ، ص 22-32 ، بتصرف

مشيرًا إلى تكوينات المخ التي ترتبط بمفاهيم "فرويد"، مثل اللبيدو، الشهوة الجنسية، والدوافع والعقل الباطن اللاشعور والكبت[1].

2- آليات التحليل النفسي

الشعور واللاشعور:

"الهو" حسب "فرويد "الجانب الغريزي الشهواني الموروث من جنس وعدوان، وهو منبع الطاقة البيولوجية والنفسية التي يولد بها الإنسان ويشمل الدوافع الفطرية التي ترجع إلى موروث النوع البشري كله، أي أن" الهو "هو طبيعة الإنسان الحيوانية البحة قبل أن يتناولها المجتمع بالتحوير والتهذيب فمايعتقده "فرويد " أنه جانب لا شعوري عميق ليس بينه وبين العالم الخارجي الواقعي صلة أو علاقة مباشرة، لذا "فألهو" حسب اعتقاد فرويد لا يعرف شيئا عن الأخلاق والمعايير الاجتماعية، كما لا يعرف أيضا المنطق أو الزمان والمكان فهو الصورة البدائية للشخصية، يهتم فقط بإشباع الغرائز تبعا لمقتضيات اللذة، فالرضيع يصرخ ويتبول متى شاء وحيث شاء وكيف شاء، أي يندفع الرضيع إلى إشباع غرائزه اندفاعا عاجلا كاملا وبأية صورة كانت[2].

فالهو إذا هو مجموع القوى والنزعات البدائية التي تندفع بقوة لتحقيق إشباع الغرائز الفطرية على أساس تحقيق اللذة وتحاشي الآلام ، لذلك اعتبره فرويد مصدرا للطاقة النفسية

[1] حسين عبد الفتاح الغامدي ، ص25-26

[2] عبد الرحمن الوافي ، مدخل إلى علم النفس ، ص 233

وهو القيمة النفسية الواقعة في داخل الفرد لأنه يحتوي على الخبارات التي تتكرر بشدة في الأجيال المتعاقبة للنوع البشري بالإضافة إلى خبارات الفرد الجديدة التي يكتسبها في حياته اليومية، لذلك يحتفظ دائما بطبيعته الطفلية البدائية مدى الحياة ، و بالبحث الدائم المستمر عن الإشباع و اللذة المباشرة بشكل أناني، لا يراعي المعايير الاجتماعية أو الأخلاقية ،فالانسان لا يفكر وإنما يرغب ويسعى جاهدا وراء تحقيق هدفه المتمثل في إشباع الغرائز حسب مبدأ اللذة[1]

-الأنا: هو الجانب الواقعي للإنسان ومركز الشعور يتكون من اتصال وعلاقة الطفل بالعالم الخارجي الواقعي عن طريق حواسه وخباراته الحسية، وكذا عن طريق صلته بأمه، حيث انه يتعلم مع الوقت كيف انه لا يستطيع الظفر بكل ما يريد متى يشاء ، كما يتعلم بان هناك أشكالا ، ثم يبدئ في تعلم الاحتمال المؤقت والانتظار لإرضاء رغباته على الفور، وعلى هذا النحو ينمو "الأنا " الأمر الذي يجعله يحد من مطالب" الهو" و اندفاعه ويعمل على ضبطه وتوجيهه لذلك ذهب القول" بفرويد" إلى أن "الأنا "ينشأ أصلا من الغرائز وينفصل عنها نتيجة للخبرة والتجربة والتعلم الذي يكتسبه الطفل أثناء مراحل النمو المختلفة التي يمر بها ويكون الذكاء والنضج العقلي والجسمي ودرجة التوازن الانفعالي وضبط الدوافع العضوية، بمثابة العوامل الأساسية في تكوينه ، والصورة المحددة للانا والإطار الذي يرى من خلاله الشخص نفسه ويحدد على أساسه أنماط سلوكه.

[1]حسين عبد الفتاح الغامدي ، المدارس النفسية و نضريات الشخصية ، ص21-25

ويعتبر "الأنا "هو المدرك لظروف البيئة الخارجية ولمعايير المجتمع وما تفرضه عليه من أوامر و نواه للسلوك سواء أكانت له صلة مباشرة أو غير مباشرة بالدوافع الفطرية فهو يكف من حرية إشباعها أو يجابه ويتصدى لإحباط نشاط الذات[1].

وأشار "فرويد "في الأخير إلى أن " الأنا " هو جزء من " الهو "الذي تغير نتيجة تأثير العالم الخارجي الواقعي فيه تاثيرا مباشرا عن طريق جهاز الادراك والشعور، أي أن الأنا" ينقل تأثير العالم الخارجي إلى "الهو" وما فيه من نزاعات بدائية ثم يحاول أن يضع مبدأ الواقع محل مبدأ اللذة ومن هنا يمكننا القول بأن "الأنا " "عبارة عن نظام معقد من العمليات النفسية التي هي تعتبر بمثابة الوسيط بين الهو والعالم الخارجي"[2]، وبعبارة أخرى للأنا وجهين: وجه يطل على الدوافع الفطرية في "الهو " و وجه أخر يطلب على العالم الخارجي عن طريق الحواس، و وظيفته تكمن في التوفيق بين مطالب" الهو" و الظروف الخارجية، فهو كأداة تقييم الواقع وتكييف السلوك.

-الأنا الأعلى: وهو الجهاز الثالث الذي يبدأ تكوينه من سن مبكرة، وهو يمثل الجانب الخلقي من الشخصية والقيم والمعايير والمعتقدات التي يستخدمها الفرد في الحكم على دوافعه وسلوكه والتي يهتدي بها في تفكيره وأفعاله. يمثل الأنا الأعلى كذلك الجانب المثالي بعكس "الأنا " الذي يلتزم بالواقع وبعكس"الهو" الذي يطلب اللذة، فالأنا الأعلى هو جانب

[1] عبد الرحمن الوافي، مدخل إلى علم النفس، ط5 ، ص:209

[2] مصطفى عاشوري ، مدخل إلى علم النفس ، ط 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر ،1990 م ص21

الشخصية الذي يوجه ويوقع العقاب، وهو قوة محركة يمكن تعريفها استعداد لا شعوري أي دافع مانع مكتسب على أساس من الخوف والحب، أي هو الرقيب النفسي والمستشار الخلقي، فبعد أن كان الطفل يعمل المباح ويمتنع عن المحظور خوفا من سلطة خارجية، فهو أصبح يحمل بين جانبيهة مستشارا خلقيا يرشده إلى ما يجب فعله وينهيه عما لا يجب عمله[1].

-**اللاشعور الجماعي:** يتكون هذا اللاشعور من ذكريات موروثة عن الماضي الإنساني، ويحتوي على جميع الآثارالمتعاقبة كخبارات للإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ، والتي مرت بالإنسان وكانت أساس شخصياته.

ويرى "يونغ " "Jung" (1875-1961) أن اللاشعور الجمعي يتكون من مركبات تعرف باسم النماذج العليا وهي النماذج التي تظم خبا رت الإنسان البدائية، والصور الأولية التي كونها من خلال علاقته بالوسط الذي يعيش فيه، وتظهر هذه النماذج العليا في اللاشعور من خلال الأحلام على شكل الرموز مثلما تظهر في الأساطير والطقوس[2].

-**الأ نيما و الأ نيموس:** وهما اللذين يرمزان إلى جوانب الذكورة والأنوثة عند الرجل والمرءة ، فالجانب الأنثوي عند الرجل يسمى الانيما، والجانب الذكوري في المرءة يسمي بالانيموس. ويرى"يونغ "أن ذلك يعود إلى أصل جنس قديم وهو يساعد على التحقيق.

---

[1]- حسين عبد الفتاح الغامدي ، المدارس النفسية و نضريات الشخصية ، ص 33

[2]-إبراهيم السعافين و خليل الشيخ ، مناهج النقد الأدبي الحديث، ط1 ، القاهرة، الشركة العربية المتحدة للتسويق **والتوريدات** 2010 م ، ص111

-الغائية:

يعتبر أدلر اقل تشاؤما من فرويد في نظرته لفاعلية الإنسان في مواجهة الحتميات حيث يرى أن الفرد يسعى بفاعلية لتحقيق غايات و أهداف يسعى من خلالها لتحقيق التميز والكمال عن الغايات المثالية معتبرا الغاية الهدف والتغلب على مشاعر العجز .لقد تبنى فكرة النهائي بأنه ذاتيا وان له معناه الشخصي لتحقيق وجودا إيجابيا للفرد قد يكون لاشعوريا . للإشارة إلى الغائية الذاتية الموجهة للفرد معتبرا إن هذه الغائية هي الأساس الموحد للشخصية .

نظرا لوجود خطط لا شعورية للسيطرة على مشاعر العجز يمكن أن تكون بعض الأهداف الموجهة لنشاط الفرد خيالية لتفق مع تلك الخطط.

-أنماط الشخصية :

قسم "ادلر" "Adler" (1870-1937) أنماط الشخصية في بداية حياته كمنظر إلى تفاؤلية ، عدوانية، انطوائية ، و منبسطة .ثم طورها عام 1935 مضيفا إليها درجة فاعلية الشخص ودرجة اهتماماته الاجتماعية ومن ثمخرج بالتقسيم التالي:

النوع المتمسك بالقواعد : لديه درجة عالية من الإصرار و السيطرة على الحياة ولكنه على درجة عالية من العدوانية، كما يعاني من ضعف شديد في الاهتمامات الاجتماعية.

النوع النفعي المتعلم للأخذ : يتوقع إشباع حاجاته اهتمامات اجتماعية ولكنها ضعيفة.

النوع الانسحابي : و هذا النوع يتسم صاحبه بالانسحابية وضعف النشاط وعدم القدرة على تحقيق أهدافه.ولذا فان اهتماماتهم الاجتماعية ضعيفة بالمقارنة بكل المجموعات الأخرى .

النوع الاجتماعي : نمط للشخص الأهداف التي يسعى لتحقيقها في حدود مصالح المجتمع ذلك أن لهم أهداف اجتماعية واضحة.[1]

-تفسير الأحلام : توصل "فرويد" في نظريته للأحلام انها وظيفة لديناميكية تتمثل في التنفيس الانفعالي وخفض درجة القلق الناتجة عن الصراعات اللاشعورية كنتيجة لضغوط الأنا المؤكدة لضرورة إبقاء الخبرات المؤلمة في حيز اللاشعور، يكون تعبير الأحلام غير مباشر، و ذلك من خلال اشتماله على معنى ظاهر هو ما يمكن للفرد استرجاعه شعوريا وهي متضاربة وغير منطقية ومشوهة أحيانا ، ومعنى خفي يشير إلى الرغبات اللاشعورية باطن يحدث التشويه في محتويات الحلم عن طريق ميكانزمات دفاعية أو نظام الرقابة اللاشعوري حيث يعمل على منع خروج الرغبات المكبوتة إلى الوعي بعد اليقظة ،على اعتبار أن للأحلام وظيفة اشباعية وتنفيسية، يرى فرويد أن الأحلام ذات طبيعة نكوصية ونعني بذلك ارتباطها بخبرات الطفولة االرغبات المكبوتة والمؤلمة والمرتبطة بالجنس والعدوان في الغالب .حيث يحقق الحلم إشباعا أو تنفيسا محدودا نتيجة لنظام الرقابة.لا يتناقض ما يراه فرويد من أن للأحلام وظيفة اشباعية أو تنفسية، حيث أن الإشباع ليس بالضرورة أن

[1] حسين عبد الفتاح الغامدي ، ص 11- 18، بتصرف

يرتبط باللذة الجنس و عليه يفسر فرويد الأحلام التي لا تؤدي إلى اللذة بأنها ترتبط بغريزة العدوان،كما أنها قد تعمل كميكانزم لتشويه الحلم و إخفاء الرغبات من الظهور للوعي.

هذه النتائج أكدت لفرويد افتراضاته السابقة عن أهمية الخبرات الطفولية المرتبطة بالجنس والعدوان، كما أكدت له عملية الكبت لهذه الخبرات والتي تجعل منها خبرات لاشعورية.

-**الليبيدو** : تتمثل في الغرائز الجنسية التي تهدف إلى الإشباع واللذة، والمصطلح يجسد ما تحويه كلمة libido الحب الذي يشهد الاتصال الجنسي ويسعى إلى حفض الجنس البشري.

-**غريزتي الموت و الحياة** : تمثل حتمية البايولوجية المتمثلة في غريزيتي الجنس والعدوان صلب نظرية فرويد، حيث يرى أنهما مصدر الطاقة الديناميكية في الحياة النفسية، وكما هو الحال في بقية أجزاء النظرية فقد مرت نظريته في الجنس بثلاث مراحل كان أخرها اعتقاده بوجود دافعين متصارعين أحدهما هو الدافع نحو الحياة والآخر نحو الموت والدمار، ويرتبط الأول بالحب والجنس الذي يبدأ مع بدايات الحياة ذلك انه الأساس في الحياة، ويكون الجنس موجها نحو الذات وهذا يظهر في النرجسية في المراحل الأولى وقد تستمر في الحالات المرضية، ثم يوجه نحو موضوعات خارجية مع بدايات المرحلة الأوديبية .والآخر يرتبط بالعدوان أو الدافع نحو الموت والموجه أساسا نحو الذات ثم الآخرين[1].

[1]حسين عبد الفتاح الغامدي ، ص 11- 18

3-علاقة علم النفس بالادب

لقد عد فرويد الأدب و الفن تعبيرا عن الاشعور الفردي ,حيث تظهر فيه تفعلات الذات و صراعتها الداخلية و قد تبين لفرويد و هو يدرس شخصيات الفانين ان الدوافع الجنسية **EROS** كانت من ابرز الدوافع للابداع .

يقول فرويد " الفنان في الاصل رجل تحول عن الواقع لانه لم يستطع ان يتلأم مع مطلب نبذ الاشباع الغريزي , فأطلق العنان في حياة الخيال الكامل رغباته الغرامية و مطامحه غير انه وجد طريقا للعودة من الخيال الى هذا الواقع ,و هو يصوغ في تهويماته , بمواهبه الخاصة , نوعا اخر من الواقع , ثم يمنحها الناس التبرير باعتبارها تأملات قيمة في الحياة الواقعية . و هكذا يبدو الفنان البطل او المالك او الخالق المفظل الذي رغب ان يكونه متجنب بذلك المسلك الملتوي الذي يتطلبه خلق تغيرات واقعية في العالم الخارجي ".[1]

لقد عزز فرويد رؤيته السابقة بفهمه لظاهرة الكبت . و عده احد اليات الانا الدفاعية .فهو يزعم ان هناك رغبة لا شعورية عند الابن في ان يحب امه و يحتل مكان ابيه . و اذا كانت هذه الرغبة قد قمعت بواساطة وسائل التحريم الدينية و الاجتماعية , فانها تتمثل بوظوح في الاحلام فبين ان لحظة الابداع عند الفنان كما هو الحال في حلم اليقظة عملية لا شعورية و الشاعر مثلا حالم يقضة يحظى بقبول المجتمع و بدلا من ان يغير شخصيته يقوم بنشر خيالته .

[1] ابراهيم الخليل محمود ، النقد الادبي الحديث ، ط2، دار المسيرة ، عمان2005 ، ص 54

فالعمل الفني ، كما يرى فرويد ، تتشاكل دوافعه مع دوافع الحلم , ويحقق من الرغبات المكبوتة في الاشعور ما يستطيع الحلم تحقيقه، و هو يتخذ في الوقت نفسه من الرموز والصور ما ينفس عن هذه الرغبات ، و يخلق بين تلك الصور أو الرموز علاقات جديدة،و من هنا تاتي المتعة التي يجدها الفنان و هو يخرج عمله الى حيز الوجود . لقد اعتبر فرويد "الأدب والفن تعبير عن اللاشعور الفردي حيث تظهر فيه تفاعلات الذات وصرعاتها الداخلية"[1]، فقد تبين ل "فرويد "وهو يدرس شخصيات الفنانين وحياتهم أن الدوافع الجنسية كانت من ابرز الدوافع للإبداع و يقول "بلجر": " أن الأديب لا يبدع إنتاجه الأدبي من أجل التعبير عن رغباته المكبوتة، وإنما للدفاع عن قيام هذه الرغبات في نفسه دفاعا غير واعي عن طريق الأثر الأدبي الذي يكتسب به استحسان القارئ ويضيف إلى ذلك أن الكاتب لا يعبر في أدبه عن نفسه فحسب، أو عن رغباته فقط، وإنما يعبر بالأسلوب نفسه أيضا عن رغبات الآخر "[2]

يقول "يونغ " وهو يحاول أن يرسم طبيعة العلاقة بين علم النفس وفن الشعر ":إن ما يظهر في الرؤية هو تعبير عن اللاشعور الجماعي، أي عن بنية النفس الأصيلة الفطرية، والتي تمثل رحم الشعور وشرطه المسبق، وتمشيا مع قوانين علم الوراثة، يتحتم على البنية النفسية شانها شان البنية التشريحية، وأن تحمل في طياتها معالم المراحل التي مرت بها

[1] إبراهيم الخليل محمود،النقد الأدبي الحديث ص33
[2] المرجع نفس ص 34

الأسلاف، كذلك هي الحال حقا بالنسبة إلى اللاوعي، ففي حالة الخسوف الشعوري إيبان الحلم أو في حالات الاضطرابات العقلية يطفو على سطح اللاشعور نتاجات أو مضامين نفسية تحمل في ذاتها المعالم الإنسانية للإنسان البدائي، ليس من حيث الشكل فحسب، بل من حيث المحتوى"[1] ، و للتعبير عما يجول داخل المبدع من رغبات مكبوتة فقد عمد "فرويد "إلى مجموعة من الآليات يلجأ إليها اللاوعي للتعبير عن هذه الرغبات ونجد منها:

التكثيف وهو حذف لأجزاء من مواد اللاوعي وخلط عناصر عدة بعضها ببعض ليؤلف منها وحدة متكاملة تغني عن التفاصيل الكثيرة.

الإزاحة وتعني إبدال موضوع الرغبة واللاوعي الممنوعة بأخرى مقبولة اجتماعيا وعرفيا. وهو تمثيل أو عرض المكبوت وغالبا ما يكون موضوع جنسي فيعوض في موضوعات غير جنسية تشبه المكبوت ، ولهذا فأن لكل عمل أدبي أو فني مظهرين أحدهما خفي والآخر ظاهر،و على الناقد النفسي أن يستعين بكل الأدوات التي تمكنه من تحليل النص أو العمل الفني تحليلا فنيا يوصله إلى معرفة المحتوى الخفي، ومن الدراسات التي قام بها "فرويد " على سبيل المثال[2].

[1] إبراهيم الخليل محمود ، ص26
[2] المرجع نفسه ، ص 27

تلاقح الأدب والتحليل النفسي:

يلتقي الأدب و التحليل النفسي في العديد من التصورات، بل ويخدم بعضهما بعضا، وهذا ما أبرزه جون نويل بقوله " لقد أعطى الأدب كثيرا إلى التحليل النفسي غير أن هذا العلم رد إليه الكثير أيضا ...حين يجتمع الاثنان، فإنهما يقدمان مساعدة قيمة إلى الكائن الإنساني في محاولته القلقة لكي خصوصيتهم، إن ذلك يعتبر عاملا من أجل التقدم لا يمكننا إنكاره " [1] وبالطبع لا نستطيع إنكاره، فمن يستطيع سحب البساط من تحت الدراسة النفسانية في علاقتها مع الأدب، إنها تخدمه وتزيد من قدرته على الفهم، وبالتالي تزيد من تعمقه واستطلاع أسرار جماله.وقد كان أول من طرق باب هذه الفكرة بنوع من الدقة العلمية هو أرسطو عندما تقدم بمفهوم التطهير في حديثه عن أثر المأساة في الجمهور،" أول معلم حقيقي من معالم الطريق إلى شرح العلاقة بين الأدب والنفس على أساس من المعرفة شبه العلمية، إنها محاولة لتجاوز العبارات الفضفاضة في شرح هذه العلاقة والانتقال من مجرد الإحساس المبهم إلى الإدراك "[2]وللسبب نفسه قامت العديد من الدراسات الحديثة إذ تعددت التفسيرات في فهم علاقة هذا الأدب بالنفس وفي هذه العلاقة يقول عز الدين إسماعيل " إن النفس تصنع الأدب وآذلك يصنع الأدب النفس، النفس تجمع أطراف الحياة لكي تصنع منها الأدب، والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جوانب النفس، والنفس التي تتلقى الحياة

[1] العقاد ، التحليل النفسي و الفن ، ج2 ، دار المعارف ، مصر، 1963م ، ص:112
[2] المرجع نفسه ، ص 77

لتصنع الأدب هي النفس التي تتلقى الأدب لتصنع الحياة، إنها دائرة لا يفترق طرفاها إلا لكي يلتقيا، وهما حين يلتقيان يضعان حول الحياة إطارا فيصنعان لها بذلك معنى، والإنسان لا يعرف نفسه إلا حين يعرف للحياة معنى، وحقيقة هذه العلاقة ليست شيئا مستكشفا للإنسان الحديث لأنها كانت قائمة منذ أن عرف الإنسان وسيلة التعبير عن نفسه"[1] لكل هذه الأسباب مجتمعة كان التحليل النفسي ناجحا في الكشف عن مجموع الأفكار والرموز الغامضة التي تبناها بعض الأدباء وحاولوا بها تمويه رغباتهم الحقيقية، "فجاءت هذه الرغبات المكظومة مقيدة ببناء وشكل ونظام خاص يجعل الأدب شبيها بالحلم لأن هناك تشابها بين رموز صاحب الحلم وخيال الكاتب، وبين تداعي صاحب الحلم وتفصيل الكاتب لشعره أو لإبداعه الفني، فإن التداعي في العملالأدبي ليس حرا أو طليقا، لأن الكاتب يريد أن تصل مادته إلى جمهوره" وهذاهو الفيصل بين الحلم والإبداع ، فبالرغم من التقائهما في آونهما معا يحققان متعة وسعادة لصاحبيهما، وآونهما آذلك متنفسا لرغبات مكبوتة، فهما يفترقان في أن العمل الأدبي حلم مقيد بقانون خاص، بينما الحلم العادي فهو يسبح في سماء الحرية المطلقة، ولكن بالرغم من ذلك يكون العمل الأدبي أكثر تعبيرا لا تقف عند رسم الصور والرموز والتعبير بها عن مواقف صاحبه ، بل هي تتعدى ذلك لتظهر في متعة أكبر، تلك التي تتجسد في أن الفنان يطرب غاية الطرب عندما يجد عمله يتدارسه جمهور المتلقين. وهناك من الدارسين من يذهب أكثر من هذه المقارنة بين الفن والحلم فيجعل الفن

[1] عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب ص34

كالجنون من حيث إنه تحرر من العقد الغامضة وهو انطلاق وتحرير للطاقة، وهو تطهير وإخراج ... والخلق الفني في جميع مظاهره ليس إلا ظاهرة بيولوجية نفسية، ليس إلا تعويضا إعلائيا عن الرغبات الغريزية الأساسية التي ظلت بلا ارتواء بسبب عقبات في العالم الخارجي أو في العالم الداخلي[1]"

من المؤكد طبعا أن هذه الآراء تبقى محسوبة على صاحبها ويحل لنا مناقشتها، ولكن قبل ذلك يجب أن نشير إلى أن تجربة كل إنسان قد تجعله يحكم على بعض الامور من منظوره الشخصي، مما يكون له في الغالب أثره الإيجابي في تفسير مظاهر السلوك الإنساني، ومن هذا المنظور سوف نقول إن هذه الآراء التي تجعل من العمل الأدبي موازيا للحلم والجنون لها مكانتها في تفسير علاقة الأدب بالتحليل النفسي، ونحن لا نستطيع ردها لأنها في الغالب تكون آذلك، ولكن يجب الاعتراف بان هذا الرأي لا ينطبق على آل الأعمال الأدبية، ومن هنا نرى أن العمل الأدبي برآن لا شعوري يفيض على حياة الأديب الشعورية، ويكون هذا الفيضان إثر ازدهار ميولاته ورغباته العميقة التي لم تتحقق في أرض الواقع، والتي انفلتت من سلطة الرقيب الأنا الأعلى ولم ينجح في آبتها، وبهذا تكون الأعمال الأدبية عبارة عن الرغبات الحقيقية للأديب. انطلاقا من هذا التفسير، أعتقد أن الأدب في جملته هو تداعي حر لأفكار صاحبه، وأدبه في النهاية هو تداعيه الحر، وقد كان فرويد في معالجته للمريض يقوم بتطبيق هذه القاعدة التداعي الحر إذ يطلب منه أن يبوح " ليس فقط

[1] العقاد ، التحليل النفسي و الفن ، ص:56

بما يمكن له أن يقوله عن قصد وبطوع إرادته؛ أي بما يسري عنه وكأنه اعتراف، بل كذلك بكل ما يطالعه به استبطانه لنفسه، وبكل ما يرد إلى ذهنه حتى لو كان البوح به مستكرها عنده، بل حتى لو بدا له عديم الجدوى سخيفا، فإن أفلح المريض بعد هذه الوصايا في قمع نقده الذاتي كاشفا بجملة من المواد والأفكار والخواطر والذكريات، مما يقع تحت تأثير الشعور ومما لا يعدو أن يكون في كثير من الأحيان من مشتقاته المباشرة، وعندئذ يتسنى لنا أن نخمن طبيعة المادة المكبوتة لدى المريض، وأن نكاشفه وان نمكن أناه من أن يعرف اللاشعور معرفة أفضل هذه التقنية توضح بشكل صريح أن الشاعر أو الأديب الذي يصلح في كشف نفسيته الاستعانة بالمنهج النفسي هو الذي يستعمل في أدبه ضمير الأنا كآثر من الذي يستعمل ضمير الغائب لأنه يكون في أدبه دائم الحديث عن نفسه وتجاربه كأنه أمام تداع للأفكار. من كلا م تقدم نستخلص أن الأدب قد استطاع أن يقدم في الغالب للإنسان ملاذا يلجأ إليه بغية التفريغ عن همومه وأحزانه تلك الهموم والأحزان التي غلفها في أعماله الأدبية بواسطة العديد من التقنيات التي تتفرق بين الشكل والمضمون.ونستخلص كذلك أن علاقة الأدب بالتحليل النفسي كانت ولا تزال علاقة سلم وتعايش، بل علاقة تكامل، خاصة عندما بدأ فرويد بتفسير روائع الأدب اليوناني بمنهجه النفسي، إذ أصبحت نظرياته بعد ذلك تكمل الأدب وتسد العديد من ثغراته"[1].

[1] عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب ص67

4-المنهج النفسي في الادب

يرى فرويد أن " الإبداع ليس إلا حالة خاصة قابلة للتحليل ، لأن كل عمل فني ينتج عن سبب نفسي ، و يعد هو المنهج الذي يربط بين العمل الأدبي ونفسية صاحبه ودلالة هذا العمل على شخصية صاحبه"[1]. والنقد العربي لم يخل من بعض النظرات الحاذقة التي تدل على خبرة عميقة بالنفس الإنسانية ومدى تأثرها بالشعر, ومنها حديث ابن قتيبة وتفريقه بين الشعراء على أساس الطبع متخذاً منه ركيزة لتبيانهم في بعض الفنون الشعرية , كذلك عبدالقاهر الجرجاني في تحليله الملكة الشعرية وإرجاعها إلى مجموعة عوامل كالطبع والروية والذكاء . أما الذي رسخ المنهج النفسي في النقد الأدبي فهو" فرويد" وتلامذته "يونج" و"أدلر" وذلك بعد إصداره كتابه (تفسير الأحلام).

- **فرويد**: (1856م-1939م): ركز فرويد في دراساته النفسية على الدوافع الجنسية فيعتبرها من بين الدوافع اللاواعية التي يراها تشكل العمل الإبداعي, من مثل عقدة أوديب وعقدة إلكترا. ويرى أن الفن والإبداع مجرد تعويض مقنع عن الكبت الجنسي, أو مجرد ضرب من ضروب التنفيس من اجل التواؤم مع العالم وتفادياً للمرض. حيث يرى فرويد الشعر كالحلم,تحقيق وهمي لرغبات مكبوته مختزنة في منطقة اللاشعور, والكبت العاطفي الجنسي يحاصر الشاعر ويسيطر عليه فيحولها إلى شعر, بحيث أن يحل الشاعر محل

[1] بسام قطوس ، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر , الطبعة الأولى , دار الوفاء, الإسكندرية ,2006 م, ص9

الغاية الجنسية الأولية غايات أخرى ليست جنسية ولكنها مرتبطة بالغاية الجنسية في نشأتها.[1]

-**يونغ** (1875م-1961م): ذهب إلى أن شخصية الفنان عامة بدائية ضاربة في القدم, وأنها نتاج ووعاء يحتوي على تاريخ أسلافه, وتشكلت بفعل خبرات متراكمة ماضية(اللاشعور الجمعي). وقد اتفق فرويد و يونغ إلى أن الإبداع لاشعور عند الفنان مع اختلاف المذهب في ذلك, ففرويد يراها كبت جنسي عند الفرد, أما يونغ يراها موروثة من أسلافه البدائيين.[2]

-**أدلر** (1870م-1937م): يناقض ادلر منهج فرويد ويونغ, فيرى أن الشعر والفن مبعثه التعويض عن النقص وحب الظهور والسيطرة, فالفنان كائن شعوري يشعر بنقائصه ويشعر بأهدافه التي يحاول بلوغها, ومشاعر النقص أو الإحساس بعدم الكمال هي التي تدفعه للتغلب على نقصه.

لقد أغنت فكرة يونغ (اللاوعي الجماعي) الدراسات النقدية النفسية للأدب وفتحت المجال أمام تعدد الرؤى في دراسة الفنانين والأدباء وأعمالهم الفنية والأدبية. ولقد شاع المنهج النفسي في فترة ليست بالقليلة في انجلترا وفرنسا وأمريكا والعالم كله.

ومقياس الأدب عندهم أن جودة العمل أو رداءته لا تعلل بجماليته ولفتاته الذوقية والشعورية والخيال وجمال الأسلوب ولكنها تعلل بالقيم النفسية والتأثير النفسي رفي نفسية القارئ,

[1] حسين عبد الفتاح الغامدي ، ص22-26

[2] المرجع نفسه ، ص 27

ويدرسون الأدب في النماذج الأدبية ويحللونها بتعاملهم مع النماذج البشرية, كما أن الأديب واسع الخيال شديد الحساسية, يستجيب أوسع استجابة لمؤثرات خارجية وداخلية[1].

استهوى المنهج النفسي عدداً من النقاد في دراساتهم النقدية كالعقاد والمازني ومحمد النويهي ومحمد خلف الله ومصطفى سويف, حيث درس العقاد شخصية أبي نواس في ضوء عقدة" النرجسية" في كتابه "أبو نواس الحسن بن هانئ".

كما قدم المازني دراسة عن بشار بن برد حيث تمثل نموذجاً لمفهوم أدلر من عقدة النقص.

من ابرز عيوب المنهج النفسي:

1- انه يعامل العمل الأدبي بوصفه وثيقة نفسية ذات مستوى واحد, مع أن العمل الأدبي يتشكل من طبقات وعدة مستويات, وبهذا يتساوى العمل الجيد مع الرديء .

2-أن المنهج النفسي أنتج دراسات متقاربة أو شبه متقاربة سواء في الأدب الغربي أو العربي.

3- أنهم يهتمون بالأديب ولا يهتمون بالنص كثيراً, لأنهم يدرسون النماذج الأدبية على أنها نماذج بشرية.

4- تتبعهم لحياة الأديب السلوكية وتغلغلهم في باطن اللاشعور الفردي او الجماعي, واثبات معاناة الأديب من مرض نفسي أو عقدة نفسية.

[1] بسام قطوس ، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر ، ص 69

5- أنهم يرجعون الأدب إلى أساطير الأجداد السابقين, ولا يقدر بذلك الأعمال الأدبية التي تصور المجتمع المعاصر وقضاياه ومشكلاته[1].

[1] سعد ظلام , مناهج البحث الأدبي ، طبعة 2، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، 1996 م ، ص33

الفصل الثانـي

دراسة من المنظور النفسي

في روايـة الأرض و الدم

1. الفضاء العام للرواية :

تعد رواية الأرض و الدم للكاتب الجزائري "مولود فرعون " من أروع ما كتب في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ، تجسد في الرواية المكونة من 323 صفحة ، فهي قصة واقعية دارت أحداثها في زاوية صغيرة من بلاد القبائل، حيث وصفها بالباسطة و سوء دروبها و لاشك أن الكاتب عمد في تصوير القرية بهذا الشكل ليخبرنا فيما بعد أن ثمة إمرأة بارسية نزلت فيها، جاعلة كل القرية في هرج و مرج ، بطبع لم تكون البداية في وصول هذه الشخصية البارسية إلى قرية إغيل نزمان و إنما البداية عندما فقدا قاسي و كمومة إبنهما عامر الذي هجر إلى فرنسا ليجدان نفسيهما واحدان دون إبن يعتني بهما في المستقبل و هو شاب لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره وقد إختار الرحيل مع بقية الشباب المتهورين ظنا منهم أن المال و السعادة تنتظرهما وراء البحر.

كان عامر بالنسبة لوالديه بمثابة كنز ثمين يحتفظان به، و لكن تجري الرياح بما لا تشتهسي السفن ، فتشاء الأقدار أن يكون هذا الإبن سبب تعاستهما فكم من أيام مرت و هما على أمل أن يرجع هذا الإبن العاق إليهما لكن مات الأب قبل أن

يري عامر و ترك كمومة وحيدة دون أهل تكمل بقية حياتها حزينة دون أمل و لعل عجوزة مثلها لا تصبو في أيامها الآخيرة سوي أن تعيش في شرف و هناء وهي التي لم ينصفها القدر فعاشت بعد زوجها هزيلة فقيرة لكن كانت هي و قاسي السبب فقبل وفاته باعا الأرض المفضلة لديهما فكانت ثروة أرضية ثمينة و كانت تدعي ثيزغران فإستمتتعا بالمال الذي تحصلا علية من تلك القطعة هذه هي حياة الوالدين بعد رحيل عامر فما هو حال هذا الأخير في الغربة ؟ لاشك أنها لم تكون أفضل .

عندما وصل عامر مع أصدقائه إلى باريس لم يخطر في باله شيء سوي تلك اللحظة التي يتركانه وحده لكن خوفه لم يكون في محله إذ نزل في فندق أغلبية نزلاءه كانو من قرية إغيل نزمان و الباقي أجنبيين، و لحسن حظه وجد إبني عمي أمه رابح يعمل في نفس المنجم و ينزل في نفس الفندق و كان هذا الآخير لأمرأة فرنسية تديره هي و زوجها و كان صديقا لرابح و رغم أن الأقاول تظهر عكس ذلك إذ هناك إشاعت تقول أن ثمة قصة غرامية بين رابح و زوجة اندري؟

اما بالنسبة لعامر سعيدا بوجود إبن عمه بجانبه، فكان رجلا يتسم بالضخامة و الهيبة و الصرامة و لا يستطيع أحد ممن كان يعمل في المنجم أن يزعجه فكان

مصدر أمن لعمار و في بداية عمله في المنجم أصبح يتحمل مسؤولية نفسه و يشعر بأنه يبني رجولته في متاهات ذلك المنجم الذي شعر من خلاله بقساوة الحياة و من حين لآخر كان يتذكر والديه و يشعر بالذنب لكن سرعان ما تتلاش أفكاره الؤلمة يعود إلى حياة العمل و الغربة كانت أيامه مفعمة بالنشاط و المرح ,هذا قبل أن تحدث الفاجعة ؟

كان ذلك اليوم مشؤوما اذ كانوا العمال قد إنتهوا من الأكل و عادوا إلى عملهم و كان اندري يأخد قيلولة قبل أن يكمل عمله و من جهة آخري كان عامر يستند إلى الجدار واضعا رجليه على العربة و كان يشعر بتعب شديد وغفي و هو يفكر بأمه و والده و بكل القرية بحزن عميق و هنا تفاجئه صفارة إنذار فستيقظ واقفا على صوت اندري بأن يدفع القطار و ليستيقظ تماما على إثر الضجة العنيفة و من هنا بدأ الخصام بينهما بخصوص دق الجرس، فذهب اندري لتفقد الأمر فاتبعه عامر فعاد اندري و هو يحمل خبر موت رابح و الغريب أنه كان يتهمه بقتله و كان رابح مستلقيا على السكة و تهشم رأسه ؛ و ابتداء من تلك اللحظة ضاع عامر كلية و تركت تلك الحادثة بقعة سوداء في ذاكرته و موت عمه بتلك الطريقة البشعة و هو يعلم على يقين أن اندري هو الذي قتله دفاعا عن شرفه كما يفعل

القبائل كل تلك اللطخات الحمراء لم تتلاش في مخيلته ، و المشكلة تكمن أنه لم يستطيع الدفاع عن دم عمه الذي أغتيل غدرا و كان يشعر بالعار و بالجبن أمام أهل قريته و كانوا على علم أن عامر بريء و أندري هو الجاني فدائما كانوا يقولون له أن يرد الثأر لعمه ؛ مر عامر بعد الحادث بأوقات صعبة ، و تعرض للموت مرات عدة , وجدوه الألمان الذين غزوا فرنسا و القي القبض عليه و سجن بألمانيا بصفته سجين حرب ,و قضي خمسة سنوات في ظالم حالك من العذاب ثم تحررت فرنسا و عاد مع الأخرين إلى باريس رغم كل ذلك التعذيب الذي مر به في السجن إلا أنه شعر بسعادة لأنه مازال على قيد الحياة ، فإستقر في إحدي شوارع باريس نازلا في فندق لسيدة تدعي غارينت و كان النزل يقطنها أناس من شمال إفريقيا و ليس من بينهم قبائلي واحد ، و تشاء الصدف أن تكون هذه السيدة تعرف ايفون زوجة اندري لأنها كانت في نفس البلد الذي كان فيه عامر يعني أنهم من المعارف القديمة و عرف منها أن الصغيرة ماري إبنة السيدة ايفون قد عانت مثل ما عاناه و لهذا قرر أن يكفر عن ذنبه فهو يري ماري ليست سوي قبائلية ابنة عمه رابح و يشعر بالواجب نحوها و أن ينقضها من الضياع الذي كانت تعيشه وسط مجتمع لا يرحم لكن عامر بحث عنها فوجدها و مد لها يد الآمان

وعاد بها إلى قريته إغيل نزمان و المستقبل كله أمامهما ، عاد أخيرا ذلك الإبن المتهور ولم يتغير شيء في القرية كما تركها بطروقتها و منازلها لكن تغير شيء فوالده قد توفي و ربما و هو غاضب منه فشعر بحزن شديد يمزق قلبه .

أما القرية فكانت مشغولة بالحديث عن عودة عامر مع إمرأة بارسية فكانت تبدو لهم قمرا يمشي في النهار من شدة جمالها و أناقتها، فأخذها عامر إلى منزله و كانت فرحة كمومة برجوع إبنها لا توصف، و ربما لم تكن هناك فرصة لتعرف إن كانت تلك البارسية زوجة صالحة لإبنها أم لا لكن كانت تريد أن تزوجه من فتاة من فتايات إغيل نزمان، لكن كانت تبدو بينهم في غاية الجمال و كل واحد في القرية يتحدث عن الموضوع بطريقته من صغيرهم إلى كبيرهم و لعل مثل هذه الأحداث التي تشهدها قري القبائل تثير إهتمامهم و فضولهم نظرا أن في تلك السنوات معظم شبابها يهاجرون إلى فرنسا، و كانت ماري تشعر نفسها أميرة وسط القبائليات البسيطات رغم أنها كانت في فرنسا تشعر بذل لكن هنا إختلف الأمر فهي تظهر أكثر للعيان لأختلفها و جمالها و ربما هذا ما يثير غيرة نساء إغيل نزمان ، إستطاع عامر في ظرف وجيز أن يفرض نفسه في قريته و أن تكون لديه قيمته و لم تكن تهمه الأقاويل ذاك يقول أنه ثري و الأخر يقول أنه كما ذهب

كما عاد و الآخرون يقولون متي أصبح القبائلي يتزوج بأجنبية تخالفنا في ديننا في أخلاقنا لكن بعدما تعودوا على وجوده و وجود زوجته ماري أصبحوا يرونه من أهل القرية كما كان دائما فأصبح يزور الأرض التي تبقت له مع زوجته فكانت الأرض محل إعجاب لدي السيدة البارسية.

إن العجوز كمومة تنحدر لعائلة أيت حموش، و اليوم لم يتبقي منهم سوي ابن الأخ و العم الهرم و لم تكون كمومة تصغر كثيرا عمها و عندما علموا أبناء عمومة عائلة آيت حموش بوفاة رابح على يد عامر أوقاسي إجتمعوا على هذه القضية من أجل البحث عن مخرج لإنقاذ شرف العائلة و لكن يبقي الأمر ليس واضحا لتجريم الشاب عامر و رغم ذلك وعد سليمان عمه علي بأن يثأر لعمه رابح و ذلك قبل وفاته ، و لما كان مثله مثل عمه لا أولاد لهما فقد تناقل الناس بأن هذه علامة من علامات اللعنة و سليمان لا تعنيه شفقة الآخرين و كان يتميز بأنه إنسان فظ و شرير و لهذا يتجنبوه الناس فأصبح يعيش في عزلة و لم يكون محبوبا من طرف عائلة أيت حموش. و منذ عودة عامر اظهر سليمان طبعا عدواته و كان يشعر بحقد شديد نحوه لكن عامر لايبالي به و كان لسليمان زوجة تتميز بالحنكة و الذكاء تدعي شابحة فتزوجت منه دون رغبتها فكان الأهل هم

من يقررون بدلا من بناتهم و هذا حال كل القبائليات الفتيات ولكن عاشت معه كإمرأة مسؤولة و قادرة على تحمل مشقات الحياة، وكان يغلبها بخمسة عشر سنة و بطبع لم يكون الشاب الذي تحلم به و رغم ذلك تعيش معه تحت سقف واحد و تعودت على طبعه الحاد و خشونته، و لسوء حظهما لم يرزق الله لهما ذرية. و شابحة تحب أن تتردد إلى منزل كمومة خاصة بعدما أصبحت العلاقة بينها و بين عائلة أيت حموش في تحسن، و كانت ماري تحب مجالسة شابحة لإنها مريحة و عوفية في تصرفاتها فأصبحتا تتفهمان في الكثير من الأمور فتعلمت ماري القبائلية بسرعة بفضل شابحة فصار عامر يتعامل معها كما يتعامل مع أخت له . اذا "فشابحة" إستطاعت أن تحتل مكانة كبيرة في قلبيهما، و ربما فعلت هذا لتغطي على تصرفات زوجها الفظ و تخلق جوا مليئا بالصداقة و الود فمرت سنة على عودتهما إلى الوطن و إستطاع عامر أن يندمج مع القرية و يكسب إحترام الآخرين، فهو رجل محبوب و قد كان ليس من هؤلاء الذين يعاكسون النساء أو حتي يطمع بإحدي القبائليات اللواتي يرهن في طريقه ، و مازالت علاقة شابحة مع عائلة كمومة جيدة فأصبحت هي و عامر يتفقان في الكثير من الأمور و كانت شابحة حينما تتحدث مع عامر تشعر بإرتياح و كل مشاعرها الجميلة

تلوح على وجهها و تجعلها مبتسمة و تجعل عينيها لامعتين و ربما لا تشعر بالخجل عندما تتكلم مع عامر لأنه كان يعاملها كأخت له و توصلت لجعلهما يعجبان بها دون أن ينتبه عامر لهذا و كانت اذا غاب تصبح أقل حماسة و تصبح أكثر عقلانية و كآبة و بهذا إكتشفت حقيقة مشاعرها نحو عامر الذي أصبحت تكن له مشاعر تفوق مشاعر أخت لأخيها فتلك السعادة التي تأخذها من منزلهم و التي تسرقها بدا لها أنها مكتوبة على ملامحها و حركاتها فتشعر أحيانا بالحزن و الندم و الخجل أمام ماري و كانت هذه الأخيرة تراودها بعض الشكوك نحو شابحة و حقيقة علاقتها مع زوجها فتراه بالنسبة إليها ليس صديقا عديا لكن سرعان ما تتلاش أوهامها تعود نظرتها المعتادة إلى هذه القبائلية المريحة و ربما تتتانسي الأمر لكن رغم ذلك فتحت لعامر هذا الموضوع بدافع الغيرة لكن هو أراد أن يقنعها ألا تسيء الظن بها، فتأثر عامر عندما سمع من زوجته عن مشاعر شابحة فشعر بنوع من الإضطراب و حب شابحة داعب أوتار نفسه و امتلأ قلبه تجاهها بنوع من اللطف الذي لم يفهم معناه و أصبح يتذوق خفية أرق عواطف المراهقة شعور أقوي منه يدفعه ليتلذذ بأحلام لن تتحقق، بينما كان عامر في صراع مع مشاعره إستقبل منزله خبر جميل فزوجته ماري حامل

لكن لم يكون هذا الخبر مفرحا لدا الجميع فوالدي شابحة شعر بنوع من الغيرة و الإستياء و تمنيا لو كان سليمان و شابحة هما من سيرزقان بالولد و أمها جربت كل العاقيقر لتحبل إبنتها لكن بدون جدوي فشغلها الشاغل هو شابحة و لم تريد أن تموت هي و وزوجها و إبنتهما دون إبن تجده سندا لها و يملأ فراغ غيابهما فالشيء الذي يخفان منه هو أن تبقي إبنتهما وحيدة من بعدهما فهذا القلق عادي بنسبة إلى عجوزين يحبان إبنتهما أكثر من نفسيهما، لكن في النهاية إكتشفا أن إبنتهما وأراد أن تكون سليمة و غير عاقر، لكن الأم كانت أكثر مبالغة في تعقيد الموضوع و تحميله أكثر مما يستحق حتي أنها أصبحت تفكر ككافرة و أن تحمل شابحة من عامر لكنها تعلم أن إبنتها عفيفة و لن تقبل بمثل هذه اللعبة الدنيئة و لهذا قررت أن تنفذ ما يدور برأسها بروية و بطبع شاركت كمومة بهذه الخطة الحقيرة التي ستجعل عامر و شابحة يلتقيان و في إحدي الليالي عندما عاد عامر من السهرة في تاجمعت وجد أمه مستلقية في السرير و قالت له أنها ستنام في المنزل هذه الليلة لأنها كانت تنام في منزل أيت حموش، فطلبت منه أن يذهب إلى منزل سليمان لأنه غير موجود و زوجته شابحة ذهبت إلي منزل والديها و لهذا يجب أن ينام هناك ليحرس منزل سليمان فوالدته تدعي أن ثمة لصوص في

الجوار وإغتنمت الفرصة و تحدثت عن حالة هذين الزوجين و أن سليمان يتعب فقط نفسه في الذهاب إلى الزوايا و استشارة المرابطيين فذهب عامر إلى منزل الزوجين ظنا منه أنه لن يجد احدا سوي الجدران لكن تفاجئ حينما وجد شابحة جالسة بالقرب من الموقد فنهضت من مكانها من الفزع اذ بعامر يهدئها ألا تخاف و أنه هنا ليحرس المنزل لكن تعجب حينما قالت له أنها تنتظر أمها و لم تأتي بعد لتأخذها و امه كمومة تعلم ان شابحة لوحدها فكان الموقف غامضا و فيه لعبة من طرف عجوزتين شابحة و عامر إكتشفا اللعبة الدنيئة و احتقرا هاتين العجوزين اللتان أغواهما الشيطان فتبدلا تلك النظرات الممتزجة بين الخجل و الخوف و الجرأة، و كان عامر أكثر تأثرا فهو شعر بألمها و بمشاعرها المرتبكة التي لم يخفيها وجهها و لم تريد أن تذهب في تلك الليلة إلى منزل والديها لم تريد أن تري أمها و لهذا طلب منها عامر أن تنام في منزله مع ماري و كمومة أما هو فسيحرص منزلها، و عند ذهابهما إلى المنزل اعترفت له بحبها فتعانقا بعاطفة مشبوثة و من تلك اللحظة تجنبا النظر إلى بعضهما استمر عامر و شابحة في لقاءتهما و كانا حريصين ألا يكتشفهما أحد و يتعاملان مع بعضهما أمام الناس و كأنهما غريبين، لكن عامر يشعر بتأنب الضمير في بعض الأحيان و كذلك

شابحة تشعر بنوع من الإشمئزاز من نفسها، لكن سرعان ما يزول ما يشعران به من ذنب و آلام تعود تلك المشاعر المجنونة إلى قلبيهما ليشتعلان شوقا و يستمران في إخفاء علاقتهما و الإستمتاع بهذا الغرام خلف الأنظار . لكن لا يوجد شيء يخفي عن أعين اغيلي نزمان، فبدأت الأقاويل تهز ألسنة الناس عن علاقتهما المشبوهة و سوف يجد عامر و شابحة نفسيهما محط انظار الجميع فبدأت الفضيحة تنتشر ببطيء فالسبالة العمومية أكثر الأماكن ثرثرة فهناك تفصح النساء عن المستور، و بطبع هذه المرة كانت الأصابع موجهة نحو شابحة و بدأ الشك يساور زوجها سليمان من تلميحات و تهكمات الناس . خاصة و أنه يعلم بأنها تريد عامر و ما يعذبه أكثر أن يتصورها بين يدي عامر . أصبح غيورا و دائم القلق و كان يحاول أن يتصرف و كأن الأقاويل لا تمس سمعته لكن يأخذه الغضب إلى أفكار تسبب له الإرهاق يتخيل أن الكارثة ستنفجر قريبا و يكونان سخرية الجميع أصبحت علاقة عامر و شابحة لا تحكيها الألسنة الثرثارة و تنقلها بصوت منخفض فحسب و إنما أصبحت الفضيحة وسط تاجمعت في قهوة القرية كان ذلك في يوم الجمعة حينما ذهب والد شابحة إلى القوة و سمع لصاعقة من أحد أقربائه و قال له أن إبنته لطخت سمعة العائلة بعلاقتها مع عامر و كان ذلك

الشاب سكرانا ففقد رمضان السيطرة على نفسه، فبدأ يدافع عن إبنته التي أهين شرفها أمام الناس و بعد إنتهاء ذلك الشجار و في اليوم الموالي عقدت عائلة أيت حموش إجتماعا، و أجمعوا على أن أحسن ما يمكن فعله هو خنق المشكلة في المهد و لكي يتجنبوا هذه الفضيحة قرروا أن ينسوا كلية سليمان و كأنه ليس من العائلة ثم إنه رجل ساقط، بغيض، و أن ما يحدث الأن لا يدعو للإستغراب ثم علم كل من عامر و كمومة و ماري بما حدث بالتفصيل في تاجمعت فغضبت ماري فشعرت بالحزن لأنها تري أن شابحة و عامر خائنين الأول خان عمه أما الأخري فخانت الصداقة التي جمعتهما . فظل عامر و شابحة على أفواه الناس لأيام عديدة ثم بدأ الإنشغال بأشياء أخرى و عادت المياه إلى مجاريها و منذ مدة لم يعود المتهمان يتقابلان خفية لكن حبهما تضاعف و إرتسم في وجهيهما الحزينين ملامح الشوق و العذاب و لكي يظهر سليمان صداقته و أنه لم يعود يشك بزوجته شابحة و إبن أخته باع لهذا الأخير أملاكه بيعا قانونيا أما هو فمازال يملك تيغزران. و بمجرد أن العملية تمت عاد سليمان إلى حقده و غطرسته و أصبح كثير الشك بزوجته و تأتيه أفكار سوداء و أخذ يراقبها و يترصدها هي و عامر و سرعان ما يكتشف أنها مجرد تخيلات، يهدأ ثم لا يجد نفسه حتي يعاوده

ذلك الجنون و الغيرة القاتلة لكن مع إنشاغلهم بالأرض و أعمالها المجهدة أصبح سليمان يتناسي أمر هذين العاشقين لاطالما القضية لم تعود تكررها ألسنة الناس و في ليلة من ليالي القرية حصل ما لم يكون في الحسبان وجد أخيرا العاشقين يؤكدان له أن تلك الإشاعات و الأقاويل عن علاقتهما لم تكون أكاذيب، فهو الأن يراهما بعينيه و نار الغضب تجتاح جوارحه و شعر في لحظة بالغباء و الجبن، ثم عاد من حيث أتي محطما و كيف لا يكون كذلك و هو رأي زوجته بين أحضان رجل أخر و من هذا الرجل عامر الذي قتل عمه يعني أن عامر قتل سليمان مرتين و كلتهما كانت الخيانة هي الخنجر الذي يغرز في قلبه. لم يظهر لزوجته شابحة بأنه قد إكتشف أمرها لكنه شعوره بلإشمئزاز نحوها لم يخفيه حتي شكت بالأمر و في الصباح ذاع الخبر بسرعة فائقة فقد توفي رجلين من القرية و قد كانو تحت ركام من الأحجار و حاولوا رجال ينشطون جادين لرفع الحجارة لكن فات الأوان فقد كان عامر و سليمان يلتقطان أنفسهما الأخيرة وصل الخبر لعائلة أيت حموش وعلمت كل من شابحة و ماري و كمومة مات عامر و سليمان و ستكون جنازتان لرجلين فارقا الحياة. كانو في المحجر حينا سمع سليمان و إحدي العاملين الصرخة فذهب سليمان إلى المحجر و سقطت عليه صخرة ضخمة

فرأى ذلك الرجل عامر وقع تحت أنقاض الحجارة و التراب ماتا الرجلين و توسع الحزن جميع أنحاء القرية فكانت كمومة في البداية حزينة على إبنها كأي أم لكنها إرتاحت حينما علمت أن "شابحة" بطنها ليس فارغا.

2 . الصراع النفسي بين الرغبات و الحاجة الى الاهل و الوالدين

2-1 دراسة لشخصية البطلة من المنضار النفسي

ركزت العالمة النفسية "هورني" (1889-1966) " Horny" على اهمية النظر الى الشخصية كونها وحدة واحدة و الى اهمية الحب الوالدي كواحد من اهم الحاجات الاساسية اذ ترى اهمية المخاوف الطوية المكبوتة و لا تغفل دور الاشعور و لكنه لا تربطه بالرغبات الجنسية بل بفقدان الوالدي و الاعتراف الاجتماعي .

ان الانسان ذو طبيعة كفاحية لتحقيق الذات و هو من اجل ذلك في حاجة الى العطف و الحب الوالدي و الاسري التي يعمها جو من العطف و التعاون و تركز على اهمية العلاقات الاسرية و دورها في صنع شخصية الطفل و انها الاساس في بناء شخصية الطفل و انها الاساس في بناء شخصية المستقبل ، فترى ان هناك قلق اساسي ناتج عن مشاعر عدم توفر الامان في العلاقات الشخصية المتبادلة و التي تبدا بين الطفل و والديه و لكنها لا تقر بان لايمكن اجتنابه في الطبيعة الانسانية و لكن هذا القلق يستشير كفاية للفرد لتغلب على مشاعر عدم الامان و الرفض و ذلك بتحقيق الذات و هذا القلق الاساسي و يظهر في

اتجاهات عصابية تقود الى ثلاثة طرق او اساليب تحدد كيفية ارتباط الشخصية بالاخرين اضافة الى ان هذه الاتجاهات توجه الى ثلاثة اتجاهات نحو الحياة [1].

و الان سنقوم بعرض التوجيهات التي اوردتها "كارل هوني" و سنحاول ان نطبقها في رواية "الارض و الدم " لمولود فرعون

2-2 الحاجة المبالغ فيها للحب و القبول

ان الطفل في منظار الاتجاه النفسي دائما ما يبحث عن الحب اين يجد لذته ليبتعد بذلك عن صراعه النفسي و نقصد بذلك الصراع بين الانا و الليبيدو و هذا ما نجده في رواية "الارض و الدم " فنجد الشخصيات التي تعيش في "اغيل نزمان" تعاني من فقدان الحب و هذا بسبب الضروف القاسية التي كانو يعيشونا فيها اهل تلك القرية "...ان مكان كهذا لا يمكن ان يكون شاهدا الا على حياة عادية مبتذلة.."[2] فكان هناك حرمان نفسي اكثر ما هو اجتماعي فجعل يولد نوع من الحاجة النفسية الى البحث عن الحب و القبول و هذا ما جعل بطل الرواية "عامر" يهجر هذه القرية بحثا عن مكان ليحقق رغبته و ليهدء ذلك الصراع النفسي الذي كان في داخله "...ركام من الافكار كانت نائمة بداخله بدات تتصادم في راسه ، فانتابه شعور بانه يستيقظ ليواصل مهمة غير منجزة ...و ذلك لم ينجز شيئا لحد الان لقد هاجر القرية منذ خمسة عشرة سنة يا الاهي..."[3] فهذه الشخصية كانت تعيش في صراع داخلي دائم مكبوت و هذا لكونه لم يجد الحب و القبول الاجتماعي الى حد الان,

[1] حسين عبد الفتاح الغامدي ، المدارس النفسية و نضريات الشخصية ، ص 54
[2] مولود فرعون رواية الارض و الدم ، تر عبد الرزاق عبيد، دار تلانتيقت ، 2005 ، ص3
[3] المرجع نفسه ، ص15

فنستنتج ان الحاجة الى الحب و القبول يمكن لصاحبها ان يعيش في صراع طول حياته لانه لم يحقق هذه الحاجة فيعيش حزينا.

و لكن من جهة اخرى يمكن ان يكسب الانسان الحب و لكن يمكن ان يفقده فيعود ذلك الصراع من جديد كما حدث " لكمومة" بعد وفاة زوجها "...و جدت نفسها وحيدة و بلا عائل يعيلها ...و تمنت مرار لو انها ماتت مع زوجها ..."[1]

3-2 الحاجة الى شريك مسيطر او متسلط

ترى "كارل هورتي" ان الانسان دائما بحاجة الى شريك او حليف قوي متسلط عليه و هذا ناتج عن صراع الانا مع المجتمع و نعني هذا بمفهوم المدرسة النفسية انه صراع لفرض الذات و ان لم يتحقق هذا بمعنى ان كانت الشخصية ضعيفة فانها تلجا الى شريك متسلط يمنح لها الحماية[2] و هذا ما قام به والد "عامر" حين هاجره ولده الوحيد فتركه دون معين فدعته الحاجة ان يمون نفسه و ارضه لشخصية مسيطرة تدعى "الحسين" "...فقد جاء لنجدة العجوزين دون خلفيات مسبقة؛و قدم نفسه كقريب كريم ، و بذلك ظهر فعلا. اقترح على قاسي ان يمونه بنفسه ، و يعفيه من التنقل الى الى السوق . .." [3] فشخصية "قاسي" هي شخصية ظعيفة لم تستطع لوحدها ان تواجه المحيط الخارجي فلجات اذا الى شريك مسيطر و متسلط عليها ، و هذا ما حدث "لعامر" ايظا عندما كان يعمل في المنجم كان يريد ان يكون له شريك له قوي لكي يدافع عنه "...لقد كان رابح و اندري رجلين صارمين و جديرين

[1] مولود فرعون ، الارض و الدم ، ص 25

[2] حسين عبد الفتاح الغامدي ، ص50 - 60 ، بتصرف

[3] مولود فرعون ، ص23

بالاحترام . و عامر معجب بهما و يحلم ان يشكل معهم فريقا واحدا. ..و لا طالما تمنى هو ايظا ان يكون قوي ..." [1]

فهذه الشخصية تعيش في صراع لاثبات الذات ، لتواجه المحيط الخارجي و لكن لوحدها لم تسطع ، و لهذا تمنت ان يكون لها شريك مسيطر .

4-2 الحاجة المبالغ فيها للقوة

ان الانسان بحاجة دائمة الى السيطرة و السلطة و هذا لا ياتي الا بالقوة و هذا مايجعل الانسان في صراع دائم يحاول فيه ان يكسب القوة "...و لطالما هو ايضا تمنى ان يكون قويا ؛ لا يكل و لا يمل من العمل ، فقد سبق له ان قاس قوته مع العمال العجاف الهزل سواء في سرعة العمل او في قوته ، لا يهم يحب ان يجرب نفسه . ..و همه الوحيد ان يثبت انه قوي "[2] فركزت "هورتي" على هذه النقطة بان الانسان تولد في نفسه رغبة في التفوق على الاخرين و هذا ما جعل "عامر" يعمل بلا توقف و هذا ليثبت ذاته[3].

فعامر ولد في بيئة وعرة و قاسية جعلته تولد نوع من الرغبة او كما سمتها "هورتي " الحاجة المبالغة فيها للقوة "...كان عامر طباخ الجماعة ، و يتقاظا راتبا جيدا . غير هذا كان يحرجه شيئا ما لكونه يقوم بالاعمال المنزلية كالفتاة . و يخشى ان يعلم والده به في القرية . فقد كان ذلك شيئ مزعجا له . و خلال تلك المدة اصبح رجلا متمكنا قوي عوده ، و اشتد

[1] مولود فرعون ،رواية الارض و الدم، ص70
[2] المرجع ، نفس ص70
[3] حسين عبد الفتاح الغامدي ،ص55

ساعده " [1] فتلك الرغبة او الحاجة جعلته غير راضي بنفسه فتولد صراع في داخله و يسمى في علم النفس الصراع الذاتي .

5- 2 الحاجة الى الاهل و الاخرين

رغم هجرة عامر الى فرنسا و تركه لوطنه و قريته و كذلك أهله ؛ جعلته يبحث عن اللذة لكي يعوض عن ذلك الحرمان الذي كان فيه عندما كان في قريته ، و لكن ذلك الصراع لم ينتهي ؛ و هذا لان الانسان كما ترى "هورتي " بحاجة الى الاهل و لهذا قرر "عامر" العودة الى مسقط راسه بعد غياب دام خمسة عشرة سنة "...لقد هاجر القرية منذ خمسة عشرة .يا الاهي..."[2] . فعودة عامر جعلته يحس بنوع من الراحة "...و ها هو بينهم ، و الشيئ الغريب انه يشعر بالراحة ..."[3] فيمكن ان نقول هنا ان تلك الحاجة التي افتقدها عامر في الغربة و هي الاهل جعلته يعود الى وطنه و الى امه لكي ينهي ذلك الصراع الذي كان في داخله.

6-2 الحالة المبالغ فيها للاعجاب الذاتي

و يسمى ايظا في علم النفس بالنرجسية و هذه العقدة موجودة عند كل انسان لكن بدرجات متفاوتة من شخص الى اخر[4] و في روايتنا هذه الحالة موجودة في بعض المقاطع "...كانت السيدة الجميلة تبتسم لهم ابتسامة ملكة تتنازل لمن هو ادنى منها ..."[5] فزوجة "عامر" عندما

[1] مولود فرعون ، الارض و الدم ، ص65
[2] المرجع نفسه ، ص15
[3] المرجع نفسه ، ص 14
[4] عبد الرحمن الوافي ، مدخل إلى علم النفس ، ص19
[5] مولود فرعون ، ص5

نزلت من السيارة و الجميع يجري نحوها ليراها ، احست بنوع من الاعجاب بنفسها و بانها اعلى مرتبة من هؤلاء الناس .

7-2 الحالة المبالغ فيها للاعتراف الاجتماعي و المكانة الاجتماعية

ترى هورتي ان الانسان اجتماعي بطبعه بمعنى انه مرتبط بالمحيط الخارجي و لهذا يبحث دائما ليجد مكانته الاجتماعية امام الاخرين ، ليثبت وجوده و ليعترف به [1] و هذا ما حدث لعامر بعدما عاد من هجرته الطويلة "...هل عاد القادم بنقود معه ام لا...يقدرونه في انتظار تحديد درجة الاعتبار التي سوف تتناسب مع اهمية امواله ..." [2]

ملخص

يمكن القول أن الدافع الغريزي الذي جعل بعامر يهاجر هو الرغبة على الحصول على الحب و اللذة و لكن هذا لم يجعله يتخلص من ذلك الصراع اللذي كان في داخله فهو بحاجة الى الاهل و الوطن و حب الوالدين فهي حاجات اساسية يمكن ان يكبتها الشخص لكن ليس الا الأبد و هذا ما جعل بعامر يعود الى قريته بعد خمسة عشرة من الغياب.

3.دراسة شخصيات الرواية من المنظور النفسي:

إن رواية " الارض و الدم"، التي نحن في صدد تناولها مليئة بالشخصيات و كل شخصية نجدها تعيش حالة نفسية خاصة بها حسب الظروف المحيطة بها وبحياتها ولهذا اخترنا اخذ بعض شخصيات من هذه الرواية نبرز من خلالها الصورة النفسية التي تعاني منها.

[1] حسين عبد الفتاح الغامدي ،ص55
[2] مولود فرعون ، رواية الارض و الدم ،ص5

1-3الشخصية الانطوائية:

و تتجلى هذه الصفة في شخصيتين في الرواية و هما الزوجين "قاسي " و "كمومة" حيث تتميزين بالانطواء و سنعرض الان بعض من سمات الشخصية الانطوائية التي تنطبق على هاتين الشخصيتين . و من سمات الشخصية الانطوائية نجد أن هناك وجود ارتباطات شخصية محدودة جدا واستعداد دائم للمبالغة في الأخطار أو المخاطر المحتملة في المواقف اليومية إلى حد تجنب بعض الأنشطة الاجتماعية أو الرياضية أو الفكرية أو حتى الخاصة المعنية. إن الشخصية الانطوائية وبكل ما تحمله من سمات وصفات وخصائص، هي شخصية حساسة المزاج ، لذا قد تظهر هذه الحساسية بانفعال ظاهري سريع ، رغم أنه قد يكبت انفعالاته إلى حد ما في نفسه أثناء وخلال التفاعل الحذر مع الآخرين ، وهذا ما يدفعه إلى الابتعاد أكثر عن الاختلاط بالناس وممارسة حياته في الواقع بشكل أكثر طلاقة وتحرار ،تفضيل العزلة والانفراد على الخلطة والاجتماع، ويكون ذلك حتى في أوقات الفراغ، برودة الانفعالات النفسية وعدم المبالاة بالموافق التي تثير المشاعر[1].و تجسدت هذه السمات في الشخصيتين "كمومة ،قاسي " و سنقوم بعرض بعض المقاطع من رواية "الأرض و الدم" التي تبين ذلك فيقول الراوي:"...ان كمومة عجوز فقيرة ، مثقلة بالسنوات و التجارب . لا تعرف بالتحديد اين وصلت مع الحياة . تزوجت مع قاسي في سن مبكر ، و عاشت اولا تحت

[1] حسين عبد الفتاح الغامدي ،ص33

سيطرة والد زوجها القاسي ، و أمه الطاغية .عاشت وسط نساء كثيرات ، اخوات زوجها ، و زوجات اخوته . كانت العائلة كثيرة العدد ، و الحياة صعبة . تحملت التحمل و الشقاء . و عرفت الظلم و الاذى ، في اغلب الأحيان ، كانت هي الضحية ، و لكنها كانت قادرة على المواجهة عند الضرورة ، العين بالعين و السن بالسن ، و رأت كل هذه العائلة تتشتت في القرية ثم في المقبرة ، التحق اولادها باهلها في المقبرة ، و في يوم ما وجدت نفسها وحيدة ."[1] و أيظا في "...و بما ان اللياقة ترغم العجوز على الاستماع بلطف ، و الثناء على الصفات البنت المقبلة على الزواج ، ...بل ان العجوز لا تريد بالمرة ان تعطي هذا الانطباع . و لكن تريد ان تظهر بمظهر المراة الرؤوف الحنونة ، التي تحتضن الاسرار ، و تحسن المواساة ، و بكلمة معبرة ترفع الاحزان ، و تبعد الهموم..."[2]

"...وجدت نفسها وحيدة و بلا عائل يعيلها ...بقيت حينئذ وحيدة ، و تمنت مرار لو ماتت قبل قاسي . امتلات عيناها بالدموع و لكنها قدرت بموضوعية ...بانها تعيسة و عليها ان تستسلم لمصيرها... "[3].

[1] مولود فرعون ، ص23
[2] المرجع نفسه ، ص28
[3] مولود فرعون ، الارض و الدم ، ص25

الشخصية العدوانية:

و في روايتنا تمثلها شخصية "سليمان" و افراد عائلته ايت حوش الذي كان شخصا قويا و عنيفا وعائلته تملك المال و القوة . يمكننا بعدهذا ان نعرض بعض المقاطع من الرواية ؛ التي نستخلص الصفات التي تتميز بها الشخصية العدوانية: "...و لم يكن رابح اوحموش سوى القريب الحميم لكمومة . انه ابن عمها تبنى رابح ابن بنت عمه . و قبل عامر هذا التبني بلا تردد هذا العم الذي لم يسبق لعامر ان راه ، و لم يكن ينتظر ان يجده هنا و صار رابح حاميه و مرشده . فكان الال فخور باضهار هذا المتوحش الصغير الذي يعرف الفرنسية و لكنه فض و ساذج . و كان الثاني سعيد بوجود من يسير معه دون خوف..."[1] و كذلك "...و عندما أخذ عامر يصادق عمه لاحظ بان هذا الاخير جريئ جدا . و انه يقضي جل وقته في تعقب الفتيات... و أما الباقي فلو استقام رابح في حياته لما حدث له هذا فقد اخطا خطأ لا يغتفر ..." [2]

"...على جبورتها و عتوتها . الكل يعلم ان كل من تولى مقاليد مصير القرية من الاغنياء او الاقوياء قد انتهى نهاية سيئة . و ان ما قامو به من اعمال خيرية لا يكافئ ظلمهم و جرائمهم ..."[3] و في مق"...ماضي جعله لا يطأطأ راسه و يزدري جميع الاغنياء ...ينتقد المترفعين يذم من يمدحهم الاخرون . و لا طالما زعم انه يعرف اخطائهم جميعا . و نقاط ضعفهم ، و نقائصهم ، و اصول كل عائلة منهم . مصنفا الكل بعيدا وراء عائلته عائلته ...

[1] المرجع نفسه ، ص 64
[2] المرجع نفسه ، ص68
[3] مولود فرعون ، ص97

و الواقع ان الكل يعلم انه فض و شرير و الجميع يفضلون تجنبه ، فاضحى من الرعونة لدى عدد كبير من الناس محادثته ، فتركوه على ما هو عليه خوفا من مجابهته . و من جهته هو فلم يكن ليخسر شيئا في اثارة الاخرين ، و جرح مشاعرهم لتعوده على العراك "[1]

و هنا السارد يذكر بعض الصفات "...وجه سمج و كيان عنيد وغي . راس يوحي كله بالاعتداء ...اظهر سليمان طبعا عدواته بدءا من اليوم الاول ...الواقع الجميع يعلم بانه قادر على اظهار حقده . فمن خصائص سلوكه ان يجد الاسباب لعدم الحب ، ..."[2]

و من هنا نستخلص بعض السمات التي تميز الشخصية العدوانية

-التسلط المشوب بالغلظة.

-الجرأة الزائدة عن حدها في إبداء الراي ووجهات النظر إلى حد الالزام الآخرين بها.

-المبالغة في إظهار مشاعر الاستياء والغضب والكره، وعدم مراعات مشاعر الآخرين في ذلك مثل " سليمان" فيقول السارد "... الواقع الجميع يعلم بانه قادر على اظهار حقده فمن خصائص سلوكه ان يجد الاسباب لعدم الحب ، ..."[3]

فسليمان هو شخص لديه ميول عدوانية كامنة لا يحب النجاح إلا لنفسه فقط، ويحب السيطرة على الآخرين سواء على مستوى العمل أو على مستوى العلاقات الاجتماعية ، كما يحب تخريب أي نجاح وتعطيل أي عمل لكارهيه أو منافسيه أو من هو ضده، ويفعل أي شيىء ليعوق الآخرين عن التقدم، وهو لا يلتزم بأي تعليمات أو توجيهات أو نصائح،

[1] مولود فرعون ، رواية الارض و الدم ، ص101
[2] المرجع نفسه ، ص 101
[3] المرجع نفسه ، ص 100

ونجده دائم الاعراض على السلطة و دائم النقد لرؤسائه "... يزدري جميع الاغنياء ...ينتقد المترفعين يذم من يمدحهم الاخرون . و لا طالما زعم انه يعرف اخطائهم جميعا . و نقاط ضعفهم ، و نقائصهم ..."[1]

كما نجد هذا الشخص يشك في كل الناس ويتوقع منهم الأذى، فلا يلازمه شعور دائم بالاضطهاد ولذلك فهو ضد كل الناس فيضمر لهم الكراهية وعدم الارتياح أي أنه لا يراعي مشاعر الآخرين وينتقدهم بشكل لاذع وجارح.

بينما هو لا يتقبل أي نقد أو توجيه من أحد، ولذلك فهو شخص قليل الأصدقاء وهذه العزلة تزيد من عدوانيته وشعوره بالاضطهاد .

الحوار والنقاش مع هذا الشخص صعب جدا، فهو لا يتقبل كلام الآخرين بسهولة لأنه دائما يتوقع الغدر والخيانة والأذى من الآخرين، فلا عواطف له، أي أن عواطفه محدودة وباردة، كذلك هو شخص يفتقد لروح الدعابة والمرح، قليل الضحك إذ لا يبتسم إلا قليلا .فلا يهتم بأحد ولا يتألم من أجل أحد ، كما انه شخص متصلب لا يتنازل ولا يقبل الحلول،لا يحب التقرب من الآخرين أو التودد إليهم، لذلك فهو يحاول الاعتماد على نفسه بشكل كامل حتى لا يحتاج إلى الاخرين، أي انه شخص متمركز حول ذاته لذا يشير علماء النفس إلى أن هذا النمط من الشخصية منتشر بين المتعصبين والمتطرفين والمطلقين والمطلقات لذا يجب التعامل مع هذا النوع بهدوء وحذر لذا يجب تجنب المواجهة العدائية معه.

[1] رواية الأرض و الدم ، ص100

الشخصية النرجسية:

و تتجسد في شخصية "ماري " و هي زوجة "عامر" فكانت امراة جميلة افظل من النساء التي حولها فتولدت في نفسها نوع من النرجسية .

و سنعرض بعض المقاطع من الرواية لنكتشف اهم صفات الشخصية النرجسية

فيقول السارد "...كانت السيدة الجميلة تبتسم لهم إبتسامة ملكة تتنازل لمن هو أدني منها ..."[1] و يقول ايظا "...ثارواميث زوجة لقبائلي و أكثر من هذا هي جميلة ..."[2] و كذلك "...و في أوقات أخري ترى ماري نفسها ملكة صغيرة و مدللة ..."[3]

صفات الشخصية النرجسية:[4]

-الاستغراق في الشؤون الداخلية بدرجة كبيرة. "...يرى زوجته غائصة في التفكير..."

-الهدوء المتكلف أو المصطنع، وإظهار تكيف اجتماعي كبير يغطي تشويه عميق في العلاقات الداخلية مع الآخرين.

-الشعور بالعظمة مع مشاعر شديدة بالنقص جنباً إلى جنب.

-إعتماد كبير على الإعجاب الخارجي وهتاف الاستحسان.

-الشعور بالملل والضيق والفارغ و على سبيل المثال حينما قالت ماري لزوجها عامر "...منذ وجودي هنا أصبحت أشعر بالملل من نسائكم إنهن جاهلات ..."[5]

[1] مولود فرعون ، الارض و الدم ، ص4
[2] المرجع نفسه ، ص44
[3] المرجع نفسه ، ص14
[4] اسعد الإمارة ، سيكولوجية الشخصية ، الطبعة 2، منتديات ستوب ، القاهرة ، 2009 ، ص51
[5] مولود فرعون ، ص66

"...و زداها ذلك سئما على سئم ..."[1]

-الرغبة المستمرة في البحث عن الألمعية والقوة والجمال من أجل الإشباع فيقول السارد "...فقد كانت رائقة و متكيفة. و تحس نفسها أجمل منهن ، و في وضع حسن جيدة المأوي و لها زوج مناسب .

-عدم القدرة على الحب والتعاطف مع الآخرين. و كما جاء في الرواية

"...و لفترات عديدة تخيلت نفسها أنها في مجتمع معاد لها لا يريدها بين ظهرانيه..."

-الحيرة المزمنة وعدم الرضا عن النفس.

-استغلال الآخرين وعدم الرأفة بهم.

-حسد شديد ومزمن ودفاع عن هذا الحسد مثل تحقير الآخرين. و هناك مقطع في الرواية يدل على ذلك "...و النساء أنفسهن بدين لها تافهات جدا و لا يستأهلن سوي لمثل هذه المعاملة التي يتلقينها من طرف الرجال..."

-ويميل النرجسيون نحو إعطاء قيمة عالية لأفعالهم وأفضالهم والبحث عن المثالية في آبائهم أو بدائل آبائهم من حيث المركز والعطاء فيقول السارد "...و كانت تعلم أن كونها فرنسية يجعلها محترمة و مصونة ..."

-الانشغال بأوهام النجاح الغير المحدودة

-الاستعراضية وحب الظهور :كطلب الفرد الانتباه إليه والإعجاب به بصفة مستمرة من الآخرين.

[1] مولود فرعون , رواية الارض و الدم ,ص44

-اللامبالاة الباردة أو المشاعر المميزة للحنق والدونية والضحالة في الاستجابة للنقد وعدم الاهتمام بالآخرين ومشاعر الهزيمة .

-توقع الفرد أن يكون المفضل دائماً بغض النظر عن تحمل المسؤوليات الملقاة على عاتقه، مثال ذلك الدهشة أو الغضب من أن الناس لا يفعلون ما يرغبه.

-استغلال العلاقات بين الأشخاص :كالاستفادة من الآخرين في إشباع رغباته أو تعظيم ذاته، وعدما الاكتراث بالتكامل الشخصي وحقوق الآخرين.

-تذبذب العلاقات على نحو مميز بين الافراط في المثالية و الذات.

-الافتقار إلى التعاطف :كعدم القدرة على التعرف على ما يشعر به الآخرون.

وفي التحليل النفسي هي مرحلة مبكرة في النمو تتصف باهتمام زائد بالذات و نقص في الاهتمام بالآخرين، ويمكن لها أن تستمر و تثبت بعد ذلك [1].

الشخصية الانبساطية

و تتجلى في شخصية "شابحة" ، فيمكن ان نعتبر"شابحة" من الشخصية الانبساطية فهي واقعية لحد كبير و لديها حياة اجتماعية طبيعية ؛ فالانبساط هو النقيض التام للانطواء وكلاهما من أنماط الشخصية الإنسانية، ومن أهم سمات الانبساطي انه اجتماعي الاتجاه كما نجدها في شخصية "شابحة" فكانت واقعية التفكير، تميل إلى المرح "...و فاهها ..لا تفارقه الابتسامة "[2]

[1] اسعد الإمارة ، سيكولوجية الشخصية ، ص13
[2] مولود فرعون ، الارض و الدم ، ص148

فهي تنظر إلى الأشياء في محيطها كما هي من حيث قيمتها المادية الواقعية و على سبيل المثال ، لا لأهميتها ودلالاتهاالمثالية. وهي بذلك تتعامل مع الواقع الذي يعيشه بدون خيالات أو تأملات وتعالج أمور حياتها بالممكن والمتاح من الطاقة الفعلية وتنجح في اغلب الأحيان في إيجاد الحلول التي يتوافق من خلالها مع البيئة الاجتماعية "...مادامت شابحة سخرت كل عبقريتها لهذا الغرض. و وظفتها لهذه المصلحة..."[1]

وضع عالم النفس التحليلي " كارل يونغ " تقسيمات الانبساط والانطواء في الشخصية فيرى ":أن الانطوائي يكون أحيانا أكثر اهتماماً بالأحاسيس منه بالأفكار الواقعية ، بينما الانبساطي يكون في اغلب الأحيان قليل الإحساس في أمور حياتية ذات صلة بالمشاعر المرهفة أو الإحساسات[2] " أي أنه بمعنى آخر ى تعامل مع الواقع كما هو بدون تضخيم أو اثارات عاطفية يميل الشخص الانبساطي إلى العمل دائماً وخصوصاً المهن التي لها مساس مباشر مع البشر وتغلّب عليها صفة المكاسب المادية مثل البيع الشراء والمتاجرة بالسيارات القديمة أو بالعمل التجاري الحر أو المهن ذات العوائد المالية المتنوعة والوفيرة. يتميز صاحب الشخصية الانبساطية بالقابلية العالية في التكيف السريع مع الأحداث والمواقف ويمتلك مرونة عالية حسب متطلبات الحياة وظروف التواصل الاجتماعي وتحقيق مكاسب مادية عالية ونجاحات تقترن بالرضا الذاتي والاجتماعي.

[1] مولود فرعون ، ص 156

[2] حسين عبد الفتاح الغامدي ، ص61

إن هذا النمط من الشخصية يلاقي الإعجاب والقبول من الكثير من الناس ولعله الأوفق بين شرائح المجتمع ، فيقول السارد "...ليس لديها اي صعوبة في ان تجعل نفسها مرغوبة . بدات اولا بكمومة التي اصبحت تناديها بكل بساطة ب "تانا" [1]

ويرى البعض من الناس بأنه شخصية طبيعية يمكن التعامل معها بشيء من المرونة من خلال الأخذ والعطاء بسهولة و سنقوم بعرض بعض المقاطع تبين ان " شابحة " هي شخصية انبساطية ، فيقول السارد "...سوف تتخصمان و ساكون لضحك..."[2] و يقول ايضا "...مسكت شابحة يد مادام و جرتها نحو السرير و هي تبتسم . ثم تكفلت الحركات بالباقي " و كذلك "...و صارت شابحة تتكلم مع عامر بدون كلفة..."[3] و ايضا "...و غالبا ما شابحة تهزأ بتخوفتهما . ان الراس الصغيرة الموهوبة تتحكم في اللعبة بثقة تامة ..."[4]

الشخصية الهستيرية:

هذه الشخصية نجدها في الاغلب عند المراة و لهذا اخذنا من الرواية شخصية " حمامة" التي تبالغ في المباهات و تحاول لفت الانتباه.

وقد رصد علماء النفس بعض الصفات في الشخصية الهستيرية ومنها:

-حب الذات والاهتمام بها و هذا ما نجده عند شخصية " حليمة"

-محاولة جلب انتباه الآخرين واهتماماتهم.

[1] مولود فرعون ، ص148
[2] المرجع نفسه ، ص149
[3] المرجع نفسه ، ص151
[4] المرجع نفسه ، ص148

-المباهاة والاستعراضية وحب الظهور"...اجبرت ان يداعبها الحسين امام فطة في وضح النهار..."[1]

-الاتكال على الآخرين في المسؤولية.

-القابلية للإيحاء والتأثر بالآخرين والأخبار المثيرة وتفاعلهم القوي.

-الميل الشديد والعالي للتمثيل و هذا ما فعلته " حمامة " لفطة "...لكن كان بالامكان التغاضي عن كل هذه المسرحية...ارادت ان تثبت له فقط "[2]

-القابلية للمبالغة والكذب.

-الانفعالات السريعة والسطحية."...حمامة رزينة جدا ، و في نهاية الشهر الاول لو لم يقع الحمل بكل بساطة سترمي فطة ..."[3]

-التلون حسب الموقف.

-ضحالة المشاعر وتبدلها.

-الفشل المستمر في الحياة الزوجية وعدم التوافق فيقول السارد "...بعد خمس من الزواج لم تنحب شيئ ..."[4]

<u>الشخصية المزدوجة</u>:

فالشخصية المزدوجة اوالشيزية وهي مختصر لكلمة" شيزوفرينيا "أي الفصام، ليست بحال أن تكون مرض الفصام بعينه، فأنماط الشخصية هي سلوكيات تتشابه في أداءها حسب

[1] مولود فرعون، ص164
[2] المرجع نفسه ، ص167
[3] المرجع نفسه ، ص 168
[4] اسعد الإمارة ، ص 11

الحالة، فكل منا لديه نمط للشخصية ولا يوجد أي كائن بشري بلا نمط في الشخصية، وحامل نمط الشخصية ليس بحال هو مريض بذلك المرض ولكن لو تعرض إلى الضغوط النفسية القاسية والأزمات والصدمات وضاقت عليه سبل الحلول، فإنه سيتجه حتماً إلى المرض الذي يحمل في داخله ذات السمات العامة له؛ إن خصائص الشخصية الشيزية "الفصامية " تشبه إلى حد كبير نمط الشخصية الانطوائية مع الفارق في وجود المظاهر العاطفية المتمثلة في الحساسية الزائدة وسرعة في الحساسية العاطفية.[1]

ومن السمات التي يتصف بها صاحب الشخصية الشيزية بأنه حساس، عنيد وشكاك و في روايتنا مثلتها شخصية "سمينة" و سنقوم بعرض مقطع يوضح لنا بان هذه الشخصية تعاني من انفصام في الشخصية و سنقدم مثال يبين ذلك فيقول السارد "...يمكن القول بأن سمينة أصبحت ذات شخصية مزدوجة منذ بعض الوقت. من جهة هناك سمينة الساذجة ،السليمة الطوية ، و سمينة الماكرة في الأن نفسه . إنها تمتلىء رقة و دهاء . من جهة هناك سلامة النية ، و دامثة الخلق ، و الصداقة التي حازت بها على إعجاب جميع النساء و من جهة أخري هناك سمينة الليلية التي تحلم و تشخر و تتغير أنها لا تتبين أمرها في البداية فهي في عالم ضبابي لا عقلاني كل ما فيه مثير .الأشكال المبهمة التي تحيط بها تنتهي بأن تغمرها و نذيبها و تجرفها في دوامة فتطير و تحلق بنشاط لتطأ أقدمها أرضا أخري لا علاقة لها بأرضنا و مع ذلك تقيم علاقات غير متوقعة ، علاقات مع الأموات مع الأحياء مع من

[1] أسعد الامارة ، ص13

تحب مع من تكره مع أناس تعرفهم أو تهيأ لها أنها تعرفهم ثم يتحدد الحلم أهو حقيقة أم حلم إنها تطور باستمرار ساذجة و ماكرة كسمينة الأخرى..."[1]

[1] مولود فرعون , رواية الارض و الدم ,ص233

خاتمة

خاتمة:

يمكن أن نقول أن المنهج النفسي سمح لنا أن نرى رواية الأرض و الدم بعين الكاتب لأننا استطعنا أن نشعر بهواجسه و نلامس أفكاره و نعيش إظطرابه، وكان كل هذا بفضل جهود مدرسة التحليل النفسي التي بسطت على الناقد رؤيته للأدب و كان هذا الأخير كتابا مفتوح ذو مفاهيم جوهرية و أساليب فنية تغذي الأديب و تنير له درب السمو و التقدم إلى الأمام بأفكار جديدة و تطلعات جديدة و هكذا يكون الأدب مزيج بين البصمة التي يوقعها التحليل النفسي و المشاعر الفياضة التي تولد في نفسية الكاتب.

و كما رأينا في رواية الأرض و الدم الحالة النفسية التي تعيشها الشخصيات الرئسية و التي تظهر لنا أن الأدب دائم الإقتران بتحليل النفسي إذ لا يمكن الإستغناء بواحد منهم بوجود الثاني فالكاتب الذي ألف هذه الرواية لا بد أنه إستنسخها من الواقع و بين لنا تلك المعاناة النفسية التي يمر بها البطل و الشخصيات الثانوية .

هذا من جملة ما توصلناإليه خلال تحليلنا للرواية ، و نرجو أن يستفيد منه الطلبة و أن يواصلو في هذا المجال ليوسعو ميدان البحث العلمي .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- أحمد محمد عبد الخالق، أسس علم النفس، الطبعة الثالثة، الإسكندرية ، 2000 م

2- اسعد الإمارة ، سيكولوجية الشخصية ، الطبعة الثانية، منتديات ستوب ، القاهرة ، 2009

3- إبراهيم السعافين و خليل الشيخ ، مناهج النقد الأدبي الحديث، ط1 ، الشركة العربية المتحدة للتسويق ، القاهرة، 2010 م ، ص111

4- ابراهيم الخليل محمود ، النقد الادبي الحديث ، الطبعة الثانية ، دار المسيرة ، عمان2005

5- العقاد ، التحليل النفسي و الفن ، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، 1963م

6- بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر ، الطبعة الأولى ، دار الوفاء الإسكندرية ، 2006 م .

7- رضوان ظاظا، منصف الشنوفي، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، الطبعة الثانية ، دار العربية للنشر و التوزيع ، الكويت ، 1978م .

8- عبد الرحمن الوافي ، مدخل إلى علم النفس ، الطبعة الخامسة ، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ،2011 م .

9- حسين عبد الفتاح الغامدي ، المدارس النفسية و نضريات الشخصية ، ط 2 ، دار الوفاء ، الاسكندرية ، 2003

11- مصطفى عاشوري ، مدخل إلى علم النفس ، ط 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر ،1990 م

12--جان لا بلانش وبوانتاليس ، معجم مصطلحات التحليل النفسي ، الطبعة2 ، تر : مصطفى حجازي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2002 .

13- سعد ظلام , مناهج البحث الأدبي ، طبعة 2، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، 1996.

الفهرس

I. مقدمة 4-2

II. الفصل الأول: تحديد المفاهيم.

1- .. فرويد و مدرسة التحليل النفسي.....16-6

2- اليات التحليل النفسي..... 23-17

3- علاقة علم النفس بالادب.....30-24

4- المنهج النفسي في النقد الادبي.....34-31

IV. الفصل الثاني: - تجليات الصراع النفسي في رواية الأرض و الدم.

1.الفضاء العام للرواية 49-36

2. الصراع النفسي بين الرغبات و الحاجة الى الاهل و الوالدين..... 49-54

3.دراسة الشخصيات من المنظور النفسي..... 67-55

خاتمة.....69

قائمة المصادر والمراجع.....71